

نظرية الرزق في الإسلام

الشيخ عبد الهادي الخفاجي

نظرية الرزق في الإسلام

الشيخ عبد الهادي الخفاجي

إصدار:

معهد تراث الأنبياء ﷺ

للدراسات الحوزوية الإلكترونية

التابع للعتبة العباسية المقدسة

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ

رقم الإصدار: ١٧

العدد: ٥٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للمعهد

رساليّات قدرات على إيصال الخطاب الإسلامي بطريقة علمية بعيدة عن الارتجال في العمل التبليغي.

على أنّ المعهد لم يُهمل الجانب الإعلامي، فبادر إلى إنشاء مركز القمر للإعلام الرقمي، الذي يعمل على تقوية المحتوى الإيجابي على شبكة الانترنت ووسائل الإعلام الاجتماعي، حيث يكون هذا المحتوى موجَّهاً لإيصال فكر أهل البيت عليهم السلام وتوجيهات المرجعية الدينية العليا إلى نطاق واسع من شرائح المجتمعية المختلفة وبأحدث تقنيات الإنتاج الرقمي وبأساليب خطابية تناسب المتلقّي العصري.

والمعهد يقوم بطباعة ونشر الإنتاج الفكري والعلمي لطلبة العلم، ضمن سلسلة من الإصدارات - صدر منها إلى الآن (١٦) إصداراً في مختلف العناوين العقائدية والفقهية والأخلاقية - التي تهدف إلى ترسيخ العقيدة والفكر والأخلاق، بأسلوب بعيد عن التعقيد، يستقي معلوماته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام الموروثة.

وبين يديك عزيزي القارئ، كتاب (نظرية الرزق في الإسلام) لمؤلفه سماحة الشيخ عبد الهادي الخفاجي، حيث تناول فيه ما يتعلق بنظرية الرزق بتوضيح سلس وبيان علمي خالٍ من

مقدمة المعهد

معهد تراث الأنبياء، مؤسّسة علمية حوزوية تُدرّس المناهج الدّينية المعدّة لطلّاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف. الدراسة فيه عن طريق الانترنت وليست مباشرة.

يساهم المعهد في نشر وترويج المعارف الإسلاميّة وعلوم آل البيت عليهم السلام ووصولها إلى أوسع شريحة ممكنة من المجتمع، وذلك من خلال توفير المواقع والتطبيقات الإلكترونيّة التي يقوم بإنتاجها كادر متخصص من المبرمجين والمصمّمين في مجال برمجة وتصميم المواقع الإلكترونيّة والتطبيقات على أجهزة الحاسوب والهواتف الذكيّة.

وبالنظر للحاجة الفعلية في مجال التبليغ الإسلامي النسوي فقد أخذ المعهد على عاتقه تأسيس جامعة متخصصة في هذا المجال، فتمّ إنشاء جامعة أمّ البنين عليها السلام الإلكترونيّة لتلبية حاجة المجتمع وملء الفراغ في الساحة الإسلاميّة لإعداد مبلّغات

مقدمة المعهد ٥

التعقيد، وبأسلوب واضح، معتمداً فيه على القرآن الكريم وسُنَّة الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وما استفاده من كلمات العلماء الأعلام.

نسأل الله ﷻ أن يجعل عملنا في عينه، وأن يتقبله بقبوله الحسن، إنه سميع مجيب.

إدارة المعهد

الإهداء

إلى من حملتني في بطنها جنيناً، وأخرجتني إلى الدنيا وليداً، وربتني في حجرها صغيراً، وسددتني بدعائها كبيراً..
إلى من لم تطلب على كل ذلك جزاء أو شكوراً..
إلى أمِّي الغالية..
أهدي ثواب هذا الجهد المتواضع..
وأسأل الله تعالى أن يتقبله مني وينفعني به، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الأمر مرتبطاً بحياة الناس ومعيشتهم، فان تأمين لقمة العيش ومستلزمات الحياة الضرورية من أولويات الأفراد في المجتمع، بل تعقدت الأمور أكثر وأكثر في زمننا فأصبحت كثير من الاحتياجات الجانبية تعد من الضروريات الأساسية، حتى أصبحت مصدر قلق يراود فكر الإنسان صباحاً ومساءً؛ لإحساسه بان عدم تأمينها يوقعه في حرج شديد، خصوصاً مع غياب روح الاطمئنان والتوكل على الله تعالى.

بالإضافة إلى ان اختلاف الأرزاق مع اتحاد القابليات والاستعدادات يولد نوعاً من الاعتراض على عدالة الله تعالى وحكمته.

وهنا لابد للفرد المؤمن ان يتعرف على النظام الرائع الذي أسسه الخالق تعالى - تكويناً وتشريعاً - في تقسيم أرزاق العباد، وتقديرها، وسبب التفاوت فيها، ومعرفة أسبابها، وما يؤدي إلى زيادتها ونقصانها، ومعرفة الشبهات التي يمكن أن ترد من هنا وهناك عليها وكيفية دفعها؛ حتى لا نخدش بعدالة الله تعالى وحكمته.

وسنحاول - إن شاء الله تعالى - إعطاء فكرة عن مجموع النصوص التي تعرضت لهذه المسألة المهمة والخطيرة، والتي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مع انبثاق النور المحمدي الأصيل، وبعد إثبات الركائز الأساسية في المجتمع الإسلامي الحنيف ظهرت الحاجة إلى تنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض، وتنظيم علاقتهم مع الله ﷻ، وتقوية الإيمان به، مما يساعد في بناء مجتمع تسوده المحبة، والألفة، والإخلاص، خالياً من الحسد، والتكبر، والغرور، فمن الأمور التي اهتمت بها الآيات المباركة وأولتها عناية خاصة مسألة الرزق وما يتعلق بها، وبينت ذلك بشكل مفصل حتى تكرر ذكر لفظ الرزق في القرآن الكريم عشرات المرات، بالإضافة إلى الأحاديث المباركة الواردة عن الرسول الأكرم وأهل بيته المعصومين ﷺ، فتشكلت نظرية متكاملة ورؤية واضحة يزول معها كل شك وريب في مرجعية الخالق تعالى وقدرته وعدالته.

ومن الواضح أن اهتمام الشريعة المقدسة بأمر ما يكشف عن مدى أهميته وتأثيره على سلوك الفرد والمجتمع، خصوصاً إذا كان

شكّلت ظاهرة قرآنيه واضحه في مجمل الآيات والروايات المباركة
ضمن الفصول الآتية.

ولا أدّعي الإحاطة التامة بمفاصل هذه المسألة، بل أعرض ما
أمكنني الوصول إليه، متوكلاً على الله تعالى في كل ذلك، وأنتظر
التسديد والتصحيح من كل ذي علمٍ ورأي.

٢٨ / صفر / ١٤٤١ هـ

ذكرى وفاة الرسول الأكرم ﷺ - النجف الأشرف

عبد الهادي الخفاجي

من خلالها الوصول إلى نتائج علمية وعملية لها ارتباط وثيق بعقيدة الإنسان المؤمن وعلاقته مع خالقه العظيم.

فما لا شك فيه أن الدين الإسلامي الحنيف جاء بمنظومة حياتية متكاملة على المستويين النظري والعملي، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

ولكن الوصول إلى تلك النظريات والقوانين والأنظمة يحتاج إلى إعمال جهد فكري استثنائي، قد يكلف الإنسان الباحث أوقاتاً طويلة من عمره، بل قد يكلفه العمر كله، وهذا عين ما يقوم به علماء المذهب الشريف (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقيين)، فليس من السهل أن يصل الإنسان إلى النتائج المرجوة لكل واقعة وحادثة ما لم يكن متضلعاً وخبيراً في علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة والصرف والتفسير والمنطق وغيرها. ومن هنا نجد التفاوت الكبير في النتائج العلمية بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى.

والرزق من المواضيع التي اعتنت بها الآيات المباركة والأحاديث الشريفة بشكل ملحوظ؛ لما له من أهمية كبيرة في استقرار المؤمن فكرياً وسلوكياً، ومن هنا دعت الحاجة إلى تتبع قواعده ومبادئه لنصل إلى النتائج التي أرادها الله تعالى ورسوله

تمهيد

مفهوم نظرية الرزق وشروطها ومقوماتها:

النظرية لغة: مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثية (نَظَرَ)، ومعناها التأمل أثناء التفكير بشيء ما، قال ابن منظور في لسان العرب: النَّظَرُ: الفكر في الشيء تُقَدَّرُهُ وتُقَيِّسُهُ مِنْكَ^(١). والمراد من الفكر: هو ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً^(٢). أو هو ترتيب أمور معلومة يتأدى [بها] إلى مجهول^(٣).

والمراد من نظرية الرزق في المقام: النظر والتفكير في مجموعة المبادئ والقواعد والحقائق المرتبطة بموضوع الرزق، التي يمكن

(١) لسان العرب: ابن منظور، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، ج ٢، ص ٤٧٩.

(٣) مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت، ج ٣٤، ص ١٧.

٣ - أن تشتمل على معظم الجوانب التي تكوّن تلك النظرية وتحللها وتفسرها قدر الإمكان.

٤ - لا بد أن تكون ذات موضوع وإطار تفسيري خاص بها بحيث لا تتداخل مع نظرية أخرى تناول وتفسر نفس الموضوع وقضاياها.

٥ - أن تستمد إطارها المرجعي والتفسيري من حقائق وملاحظات واقعية يمكن اختبارها علمياً بشكل يثريها ويمنحها الخاصية العلمية.

ومن خلال البحث في نظرية الرزق في الإسلام سيّضح توفر الشروط المذكورة وبشكل واضح؛ فالرزق لا غموض في مكوناته وألفاظه ومعانيه؛ مع وضوح الأهداف في فصوله وتقسيماته؛ والإحاطة بكل تفاصيله وأجزائه، مع البيان والتفسير لأغلب الفقرات قدر الإمكان؛ بحيث ظهر بوضوح عدم تداخله مع موضوعات أخرى مختلفة، وكل ذلك بالاعتماد على حقائق وملاحظات واقعية ذات طابع علمي عملي.

وأما المقومات: فهي تمثل مجموعة العناصر التي تركز عليها النظرية، والتي يمكن من خلال التأمل في مفرداتها الانتقال إلى الحقائق والنتائج الصائبة، ونشير هنا إلى مقومات نظرية الرزق في المفهوم الإسلامي:

وأهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فتشكل عندنا نظرية متكاملة تضاف إلى النظريات الإسلامية الأخرى.

شروط نظرية الرزق ومقوماتها:

الرزق من المواضيع المهمة ذات الطابع الإبتلائي لمجموع أفراد المجتمع، وله تشعبات كثيرة، يرتبط بعضها بعقيدة الفرد ونمط تفكيره، وبعضها الآخر في تطبيقه الخارجي وسلوكه العملي، فهو بمجمله يمثل نظرية متكاملة من جميع النواحي، ومعلوم أن كل نظرية علمية لها مجموعة من الشروط والمقومات التي تعتمد عليها، وعليه سوف نشير إلى مجمل تلك الشروط والمقومات.

أما الشروط: فهناك شروط عامة تذكر لكل نظرية علمية^(١)، والباحث لا بد له من الالتفات إليها ومن أهمها:

١ - أن تكون مكوناتها واضحة، ودقيقة، ومحددة الألفاظ والمعاني والمضامين.

٢ - أن تعبر على ما تدل عليه بإيجاز يبين محتواها وأغراضها وأهداف كل جزء من أجزائها.

(١) انظر إلى مقال (تعريف النظرية): جهينة العيسى، نقلاً عن (اتجاهات نظرية في علم الاجتماع: عبد الباسط عبد المعطي)، الموقع الإلكتروني (مدونة جهينة)، المقال بتاريخ (الاثنين - ١٦ - يناير - ٢٠١٢م).

١ - مجموعة الحقائق والمفاهيم التي تتعلق بموضوع الرزق، التي تمثل الحالة الوصفية والعلمية لهذا الموضوع، وهذه نستمدّها من الآيات المباركة، والأحاديث النبوية، وأحاديث الأئمة المعصومين، مضافاً إلى السيرة العطرة لهم عليهم السلام.

٢ - الارتباط الوثيق بين تلك الحقائق والمفاهيم، بما يشكل نسقاً منطقيّاً محكماً يمكن الانتقال فيه من المقدمات إلى النتائج، وكلما كانت المقدمات مسلمة أو موثوق بها كانت النتائج أدق وأوضح وأقرب إلى إصابة الواقع، ولعل هذا ما يميز النظرية الدينية عن غيرها، عندما يلتزم الباحث بالمصادر الإسلامية السليمة.

٣ - التفاسير الواردة لكثير من الحالات المرتبطة بموضوع الرزق، حيث إن الرسول الأكرم وأهل بيته المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) تعرضوا لحالات ربطوا فيها بين الرزق والسعي، أو بينه وبين التوكل على الله تعالى أو بينه وبين حالات أخرى سنتعرض لها خلال البحث - إن شاء الله -، مع تفسير معين لهذا الارتباط؛ فلا بد من النظر إلى هذه التفاسير وربطها بالواقع، مع إخضاعها إلى التجربة - إن أمكن -، وتصبح النظرية مؤكدة وقوية كلما فسرت وقائع أكثر.

١ - الرزق الدنيوي المادي:

وهو من أوضح مصاديق الرزق حيث يشمل المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، ووسائل النقل، والصحة، والسلامة، ونحو ذلك، وهذا لا يقتصر على الإنسان بل يشمل كل الكائنات الحية، مهما كانت قوية أو ضعيفة، صغيرة أو كبيرة، في البر أو في البحر أو في الجو، ولعل هذا المعنى للرزق هو الشائع في الاستعمال العرفي.

٢ - الرزق الدنيوي المعنوي:

وهو ما لم يكن من الأنواع التي ذكرناها للرزق المادي كالتوفيق، والإيمان، والبركة، ونحو ذلك، وهذا المعنى تجده واضحاً في أدعية الأئمة عليهم السلام، فقد ورد عنهم: «اللهم ارزقني التقوى ما أبقيتني، والصالح ما أحييتني، والصبر على ما أبليتني، والشكر على ما آتيتني، والبركة فيما رزقتني»^(١)، وورد كذلك: «اللهم ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية، وصدق النية، وعرفان الحرمة»^(٢).

الفصل الأول

ونتعرض فيه إلى نقطتين:

النقطة الأولى: مفهوم الرزق:

الرزق في اللغة هو العطاء، وهو ما يتفجع به^(١). وليس المقصود في هذا المقام بيان المعنى الموضوع له، بل بيان المعنى الذي استعمله القرآن الكريم، والروايات المباركة. ومن خلال التتبع وجد أنه استعمل بمعنى أعم من أن يكون دنيوياً أو أخروياً، مادياً أو معنوياً، فعلى هذا يكون كل ما فيه نصيب للعباد من قبل الله تعالى ويتفجعون منه - من مواد غذائية، ومسكن، وملبس، أو علم، وعقل، وفهم، وإخلاص - يسمى رزقاً^(٢).

الرزق الدنيوي: وهو على نوعين، مادي ومعنوي.

(١) لسان العرب: ابن منظور، ج ١٠، ص ١١٥.

(٢) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ج ٦، ص ٤٦٨ ط.

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٨٧، ص ٣٠٥.

(٢) المصباح: الكفعمي، ص ٢٨٠.

وهذا المعنى يعتبر من الأمور الواضحة جداً في الإسلام؛ فالله تعالى يثيب العبد المؤمن بما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت، وبما لا يُخطر على قلب بشر.

ورد أن الإمام الحسن عليه السلام اغتسل وخرج من داره في حلة فاخرة، وبزة طاهرة، ومحاسن سافرة^(١)، وقسمات^(٢) ظاهرة... ووجهه يشرق حسناً... فعرض له في طريقه من محاييج^(٣) اليهود، همّ في هدم^(٤)، قد أنهكته العلة، وارتكبتة الذلة، وأهلكتة القلة، وجلده يستر عظامه وضعفه يقيد أقدامه، - أي: كان فقيراً معدماً -... فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يا بن رسول الله: انصفني، فقال عليه السلام: «في أي شيء؟» فقال: جدك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة تنعم بها، وتستلذ بها، وما أراها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرّها، وأتلفني فقرها.

فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أجابه قائلاً: «يا شيخ، لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت، ولا

(١) سافرة: سفر الصبح: أضواء وأشراق كأسفر، والمرأة كشفت عن وجهها فهي سافرة.

(٢) قسمات: القسمة بكسر السين وفتحها: الحسن.

(٣) محاييج: محتاجون. والمراد من فقراء اليهود المحتاجين.

(٤) هم في هدم: الهم بالكسر الشيخ الفاني، والهدم بالكسر: الثوب البالي، أو المرقع، أو خاص بكساء الصوف، والجمع أهدام وهدم.

الرزق الآخروي:

أشارت الآيات المباركة، والأحاديث الشريفة، أن أهل الآخرة - سواء كانوا من أهل الجنة أو النار - لهم رزق عند الله تعالى من المأكّل، والمشرب، والكرامة، ونحو ذلك، بحيث يمكن أن نقسمه إلى نوعين أيضاً، مادي ومعنوي.

١ - الرزق الآخروي المادي:

وردت آيات مباركة تبين الرزق المادي لأهل الجنة وأهل النار، فأما أهل الجنة فقد بين الله تعالى أنهم منعمون بأفضل النعم، وأن رزقهم يأتيهم بلا طلب، ولا نصب، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّحَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلاً سَلاماً ﴿٢٦﴾ سَلاماً ﴿٢٧﴾﴾ (الواقعة: ١٠-٢٦).

لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ (محمد: ١٥).

ومن هنا نلاحظ أن أهل النار يضحجون من هذه الحالة، ويستغيثون بأهل الجنة، ويطلبون منهم شيئاً مما رزقهم الله تعالى، ولكن من دون جدوى لأنها محرمة عليهم، وهذا ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٥٠).

٢ - الرزق الأخروي المعنوي:

الآخرة هي دار الكرامة والرضوان للإنسان المؤمن، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ (التوبة: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ (الواقعة: ٢٥-٢٦).

وهي دار الذل والهوان للإنسان الكافر والمنافق، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ (التوبة: ٦٣)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ

أُذُنٌ سَمِعَتْ، لَعَلِمَتْ أَنِي قَبْلَ انْتِقَالِي إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فِي سَجْنِ ضَنْكَ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ وَلِكُلِّ كَافِرٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ سَعِيرِ نَارِ الْجَحِيمِ، وَنَكَالِ الْعَذَابِ الْمَقِيمِ، لَرَأَيْتَ أَنَّكَ قَبْلَ مَصِيرِكَ إِلَيْهِ الْآنَ فِي جَنَّةٍ وَاسِعَةٍ، وَنِعْمَةٌ جَامِعَةٌ»^(١).

وأما أهل النار فقد قال تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّاقِمِ ﴿٦٤﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَيُونٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ (الصافات: ٦٢-٦٧)، وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: ٣٥-٣٧)، وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ (النبأ: ٢٤-٢٥)، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ

(١) بحار الأنوار: المجلسي، ج ٤٣، ص ٣٤٧.

(٢) قال الشيخ الطوسي رحمته الله: والغسلين هو الصديد الذي يتغسل بسيلانه من أبدان أهل النار. ووزنه (فعلين) من الغسل وقال ابن عباس: هو صديد أهل النار. وقيل: أهل النار طبقات منهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الغسلين، لأنه - تعالى - قال في موضع آخر ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وقال قطرب: يجوز أن يكون الضريع هو الغسلين، فعبر عنه بعبارتين، وقال قوم: يجوز أن يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع ولا شراب إلا من غسلين، فسماه طعاماً [التبيان في تفسير القرآن: ج ١٠٦، ١٠٦].

كان من دعاء داود عليه السلام: يا رازق النعاب في عشه، قال: وذلك أن الغراب إذ فقس عن فراخه، خرجت بيضاً، فإذا رآها كذلك نفر عنها، فتفتح أفواهها فيرسل الله تبارك وتعالى لها ذباباً يدخل في أجوافها، فيكون ذلك غذاءً لها حتى تسود، فإذا اسودت عاد الغراب فغذاها، ويرفع الله تعالى الذباب عنها^(١).

النقطة الثانية: الرازق هو الله تعالى:

بسبب اعتماد الإنسان على الأسباب الطبيعية التي اعتادها في حياته اليومية تصور أن الحياة عبارة عن مسابقة كبرى، يربح فيها من كان أكثرهم همّةً وجرياً، وأمضاهم مكرراً ودهاءً، وغفل عن الحقائق الإلهية التي تسير الحياة الدنيا والآخرة، فإذا أيقن الإنسان أن رزقه بيد الله تعالى لا غير، وأن كل ما عداه هو بتسبيب منه تعالى، حينئذٍ يمكنه أن يعيش حراً في أفكاره وانتفاءته، ولما أصبح آلة بيد غيره يحركه كيفما شاء، فمحاربة الناس بأرزاقهم من أبشع صور الاستغلال التي تمارس من قبل المتنفذين والمتسلطين.

إذن الحقيقة التي لا بد لكل مسلم أن يتيقنّها هي أن الله تعالى هو الرازق لكل المخلوقات في برها وبحرها وجوّها وأرضها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦)، بل

(١) حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين دميري، ج ٢، ص ٤٨٢.

لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾
(غافر: ٥٢).

طرق إيصال الرزق:

وطرق إيصال الرزق من الله تعالى إلى المخلوقات المختلفة مذهلة ومحيرة حقاً، فانظر إلى الجنين الذي يعيش في بطن أمه ولا يعلم أحد من أسراره شيئاً، وإلى الحشرات المختلفة التي تعيش في طيات الأرض، والمخلوقات التي في الأشجار وعلى قمم الجبال أو في أعماق البحار، وفي الأصداف.

فرزق بعض أنواع الطيور يكون مدخراً بين ثنايا أسنان حيوانات بحرية كبيرة، هذا النوع من الحيوانات بعد أن يتغذى من حيوانات البحر، تحتاج أسنانه إلى (منظف طبيعي) فيأتي إلى ساحل البحر ويفتح فمه الواسع فتدخل هذه الطيور التي أذخر رزقها في فم هذا الحيوان الضخم - دون وحشة ولا اضطراب - وتبحث عن رزقها بين ثنايا أسنان هذا الحيوان الكبير، فتملاً بطونها من جهة، وتريح الحيوان الذي تزدهم بين أسنانه (هذه الفضلات) من جهة أخرى، وحين تخرج الطيور وتطير في الفضاء يطبق هذا الحيوان البحري فمه بكل هدوء ويعود إلى أعماق البحر^(١).

(١) الأمل: ج ٦، ص ٤٧٠.

راتب معين من الحكومة، وما ذلك إلا لإيانه بوصول رزقه إليه كاملاً في كل شهر من غير أن ينقص منه شيئاً، ولكن ما أروع الإنسان المؤمن حينما يعلم تلك الحقيقة الغائبة عنه، وهي أن الله تعالى جعل رزق العباد حقاً عليه، حيث جاء في القرآن الكريم أن الرزق من أفعاله تعالى المختصة به، وأنه حق للخلق عليه، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية المباركة بوضوح كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦)، فقوله: ﴿عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ دال على وجوب الرزق عليه تعالى، ولا ضير في أن يثبت عليه تعالى حق لغيره إذا كان تعالى هو الجاعل الموجب لذلك على نفسه من غير أن يداخل فيه غيره، ولذلك نظائر في كلامه تعالى كما قال: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الإنعام: ١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧).

ومن الآيات الدالة على أن الرزق حق على الله ﷻ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (الملك: ٢١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)، وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

جعله ﷻ أحد المغيبات الخمسة التي لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وبالرغم من أن نسبة الرزق إلى الله سبحانه وتعالى من الضروريات والواضحات في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (سبأ: ٢٤)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ (الشعراء: ٧٩)، والآيات الدالة على ذلك غزيرة جداً، ومع ذلك فنحن ننسبه إلى أنفسنا وأن الرزق قد حصل بعملنا وبكد أيدينا، قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص: ٧٨)، والقائل هو قارون الذي كان ﴿مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾، ولئن كانت هذه الآية خاصة به، فهناك آية عامة لكل أحد، قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ (الزمر: ٤٩)، وهذا في واقعه من أشكال الشرك الخفي^(١).

الرزق حق على الله تعالى:

ضمان الرزق يعني حالة الطمأنينة والاستقرار، فكثير من الناس يستقر حاله ويرتب معاشه على نمط معين عندما يكون له

(١) ما وراء الفقه: ج ١، ص ١٣٧.

الحسين عليه السلام غلاء الأسعار، فقال: «فما عليّ من غلاته، إن غلا فهو عليه، وإن رخص فهو عليه»^(١).

وقد يجارب الإنسان في رزقه، فيطرد من وظيفته، أو يهجر من بلده، أو يمنع من دخول السوق، أو غير ذلك من الموانع، ولكن الله تعالى يفتح له باباً آخرًا، وقد يكون أوسع من الباب الأول، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما سد الله صلى الله عليه وسلم عليّ مؤمن باب رزق إلاّ فتح الله له ما هو خير منه»^(٢)، فكم من مؤمن هجر من بلده ففتح الله عليه في بلد آخر، بل إن البلد الآخر صار سبباً لازدياد خدمته وشهرته ومكانته، وأمثلة ذلك شاخصة أمام أعيننا كما حصل لعدد من العلماء والخطباء والمبلغين.

حق من غير استحقاق:

عندما نقول: إن الرزق حق على الله تعالى جعله على نفسه، لا يتصور أن ذلك لاستحقاق الإنسان، وأن هذا الحق في مقابل شيء آخر، كلا، نحن لا نستحق شيئاً على الله تعالى حتى يكون ذلك سبباً للحق عليه تعالى.

وأشار إلى هذا المعنى العلامة الطباطبائي، حيث قال: فالرزق مع كونه حقاً على الله تعالى لكونه حقاً مجعولاً من قبله، عطية منه

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٥٧.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٥٣.

روي أنّ رجلاً لازم باب عمر، فضجر منه، فقال له: يا هذا، هاجرت إلى الله تعالى أم إلى باب عمر؟ اذهب فتعلم القرآن؛ فإنه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب مدة حتى افتقده عمر، فإذا هو معتزل مشغول بالعبادة، فأتاه عمر فقال له: إني اشتقت إليك، فما الذي شغلك عني؟! قال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر، فقال: رحمك الله فما وجدت فيه؟ قال: وجدت فيه ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، فقلت: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، إني لبئس الرجل، فبكى عمر وقال: صدقت، وكان بعد ذلك يتتابه ويجلس إليه^(١).

وأشار إلى هذا المعنى الرازي في تفسيره، عندما تعرض لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (الملك: ٢١)، حيث قال: والمعنى: من الذي يرزقكم من أهلكم إن أمسك الله الرزق عنكم، وهذا أيضاً مما لا ينكره ذو العقل، وهو أنه تعالى لو أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرها لما وجد رازق سواه^(٢).

والأئمة عليهم السلام أكدوا هذا المعنى في حياتهم العملية ليلفتوا المؤمنين إليه، عن أبي حمزة الثمالي قال: ذُكر عند علي بن

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ج ١٩، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٢) تفسير الرازي: ج ٣٠، ص ٧٢.

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره ثلاثة وجوه لبيان المراد من الرزق بغير حساب^(١):

الوجه الأول: أنه يعطي من يشاء ما يشاء لا يحاسبه على ذلك أحد؛ إذ ليس فوقه ملك يحاسبه، بل هو الملك يعطي من يشاء بغير حساب.

الوجه الثاني: أن رزق الله تعالى غير مقدور ولا محدود، أي: غير خاضع للتقدير، بل هو مبسوط للعباد وموسع عليهم، كما يقال: فلان ينفق بغير حساب إذا وصف عطاؤه بالكثرة من غير تقدير.

الوجه الثالث: ترزق من تشاء بغير حساب، يعني على سبيل التفضل من غير استحقاق، لأن من أعطى على قدر الاستحقاق فقد أعطى بحساب، وقال بعض من ذهب إلى هذا المعنى: إنك لا ترزق عبادك على مقادير أعمالهم، والله أعلم.

ويمكن أن نقول: إن الوجه الثالث هو الصحيح؛ لأن توصيف الرزق بكونه بغير حساب إنما هو لكون الرزق منه تعالى بالنظر إلى حال المرزوقين بلا عوض ولا استحقاق؛ لكون ما عندهم من استدعاء أو طلب أو غير ذلك مملوكاً له تعالى محضاً، فلا يقابل عطيته منهم شيء فلا حساب لرزقه تعالى^(٢).

من غير استحقاق للمرزوق من جهة نفسه، بل من جهة ما جعله على نفسه من الحق^(١).

وكذلك أشار إليه الرازي، عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦)، حيث قال: تعلق بعضهم بأنه يجب على الله تعالى بعض الأشياء بهذه الآية وقال: إن كلمة (على) للوجوب، وهذا يدل على أن إيصال الرزق إلى الدابة واجب على الله، وجوابه: أنه واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان^(٢).

رزق بغير حساب:

أشارت أكثر من آية قرآنية مباركة إلى أن رزق الله تعالى بغير حساب، كما في قوله ﷻ: ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢)، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

(١) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) تفسير الرازي: ج ١٧، ص ١٨٦.

(١) تفسير الرازي: ج ٨، ص ١٠.

(٢) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٤١.

إلا من حيث لا يحتسبون»^(١)، وفي هذا تربية رائعة للفرد المسلم في الاعتماد على الله تعالى في رزقه وفي جميع الأمور، فالإيمان الكامل يقتضي عدم الوثوق بالأسباب، وإن كان مطلوباً منه تحصيلها والسعي إليها.

وحرص أئمتنا عليهم السلام على تربية أصحابهم بما يتناغم وتلك الثقافة المتوارثة عن القرآن الكريم، وسنة رسوله العظيم صلى الله عليه وآله، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً لأهله فكلمه الله ﷻ ورجع نبياً، وخرجت ملكة سباً فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العز لفرعون فرجعوا مؤمنين»^(٢).

وهناك ثمرات كبيرة تترتب على هذا الخلق الرفيع:

منها: الارتباط بالله تعالى وحده، والإيمان بأن أسباب الرزق وإن تعددت فمرجعها إليه، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

ومنها: كثرة الدعاء والتوسل بالله العظيم الذي بيده خزائن السماوات والأرض، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله ﷻ جعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون، وذلك أن العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه»^(٣).

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ٦٧.

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ٦٨.

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ٦٨.

وأما ما ذكر في الوجه الأول - من كون نفي الحساب راجعاً إلى نفي وجود مخلوق أعلى منه له القدرة على محاسبته، فهو بعيد؛ لأن الآيات المباركة الواردة فيها هذا المعنى تتكلم مع المؤمنين المقربين لله تعالى بالوحدانية والقدرة والقيومية على جميع المخلوقات؛ فلا يتوهمون وجود مخلوق فوقه قادر على محاسبته، حتى تأتي هذه الآيات على كثرتها لنفيه.

وما ذكر في الوجه الثاني - من كون نفي الحساب راجعاً إلى التقدير بمعنى كونه غير محدود ولا مقدر - فيدفعه آيات القدر كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢-٣)، فالرزق منه تعالى عطية بلا عوض، لكنه مقدر على ما يريدته تعالى^(١).

رزق بغير احتساب:

جاء في بعض الآيات المباركة والروايات الشريفة أن الرزق قد يكون من غير احتساب، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)، أي: أن الله تعالى جعل أسباباً للرزق خافية عن الإنسان المؤمن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أبى الله ﷻ أن يجعل أرزاق المؤمنين

(١) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٤١.

ومنها: حالة الاستقرار النفسي، فكل عاقل إذا تيقن أن مصدر رزقه بيد رجل، كريم، نبيل، حكيم، غني، عادل، اطمأنَّ لذلك وعاش عيشة هادئة مستقرة، فكيف إذا كان رزقه بيد أكرم الكرماء، وأنبل النبلاء، وأحكم الحكماء، وأغنى الأغنياء، ومن لا يظلم عنده مثقال ذرة في السماوات والأرض؟

ومنها: الرضا برزق الله تعالى، عندما يتيقن الإنسان المؤمن أن رزقه بيد الحكيم العادل، الذي يعطي لحكمة، ويمنع لحكمة، ورحمته وسعت السماوات والأرض، فلا يحزن على ما فاتته، ولا يأسف على ما في يد غيره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاتته»^(١). وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «ومن رضي برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره»^(٢)، بخلاف من لا يرضى برزقه، عن الإمام علي عليه السلام، عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله - في حديث المناهي - قال: «من لم يرض بما قسمه الله له من الرزق، وبث شكواه، ولم يصبر، ولم يحتسب، لم ترفع له حسنته، ويلقى الله عز وجل وهو عليه غضبان إلا أن يتوب»^(٣).

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٨١.

(٢) الكافي: ج ٨، ص ١٩.

(٣) جامع أحاديث الشيعة: ج ١٧، ص ٢٢.

قبيل النسبة بالغير، كما أن الملك والعزة لله تعالى في ذاته، ولغيره بإعطائه وإذنه، فهو الرزاق لا غير^(١).

ولما كان الواهب لكل المواهب في الحقيقة هو الله سبحانه، فإن (الرازق) و(الرزاق) بمعناهما الحقيقي لا يستعملان إلا فيه فقط، وإذا استعملت هذه الكلمة في حق غيره فلا شك أنها من باب المجاز^(٢).

فالمصدر الأول لعالم الخلق وجميع العطايا والإمكانات الموجودة عند الناس هو الله، فهو الذي وضع جميع الوسائل في تناول الناس لبلوغ العزة والسعادة. وهو الذي وضع في الكون تلك القوانين التي إذا لم يلتزمها الناس انحدروا إلى الذل والتعاسة. وعلى هذا الأساس يمكن إرجاع كل تلك الأمور إليه، وليس في ذلك أي تعارض مع حرية إرادة البشر، لأن الإنسان هو الذي يتصرف بهذه القوانين والمواهب والقوى والطاقات تصرفاً صحيحاً أو خاطئاً^(٣).

وهذا المعنى نجده في القرآن الكريم في موارد أخرى، كما في نسبة قبض الأرواح، حيث إن بعض الآيات تنسبه إلى الله تعالى، كما في قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)،

(١) تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٣٨.

(٢) المثل، ج ٦، ص ٣٤٨.

(٣) الأمل، ج ٢، ص ٤٥٣.

الفصل الثاني

ونتكلم فيه عن نقطتين:

النقطة الأولى: نسبة الرزق إلى غير الله تعالى:

بعد أن أوضحنا أن الرزاق هو الله تعالى، وأن الرزق حق عليه، مجعول من قبل نفسه، نلاحظ أن هنالك آيات مباركة تنسب الرزق إلى غيره تعالى، كما في قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُرَضِعَ وَالرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٣٣)، حيث نسبت الرزق إلى الوالد؛ لأنه فاعل ﴿رِزْقُهُنَّ﴾، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة: ١١)، مما يدل على وجود رازقين والله خير منهم، وهكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٥)، ومن هنا تصدّى المفسرون للإجابة عن هذا السؤال بأن الرزق بحسب الحقيقة لا يتسبب إلا إليه، فما ينسب إلى غيره تعالى - كما في الآيات المتقدمة - كل ذلك من

ففعل ملك الموت فعل الله؛ لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمثاله فعله، كما قال: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]»^(١).

فتبين أن اختلاف النسبة نظراً إلى اختلاف مراتب الأسباب، فالسبب القريب الملائكة الرسل أعوان ملك الموت، وفوقهم ملك الموت الأمر بذلك المجري لأمر الله، والله من ورائهم محيط، وهو السبب الأعلى ومسبب الأسباب، ومثال ذلك كتابة الإنسان بالقلم فالقلم كاتب واليد كاتبة والإنسان كاتب^(٢).

فالعمل الذي يتم بوسيلة معينة، ينسب فعل هذا العمل تارة للوسيلة ذاتها، وأخرى للذي أوجد وصنع هذه الوسيلة، وكلا النسبتين صحيحتان^(٣).

النقطة الثانية: الرزق الحرام:

هنالك مسألة يذكرها العلماء وهي: أن الكسب الحرام هل هو رزق أو ليس برزق؟ وعندما نقول: بأنه رزق فهذا يعني أنه من الله تعالى، وينسب إليه؛ لأنه تقدم أن الرزق ينسب حقيقة إليه تعالى وإلى غيره مجازاً، وهذا الفهم - وهو أن الكسب الحرام رزق

وفي بعضها الآخر تنسبه إلى ملك الموت، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١)، ونسب إلى الرسل في آية أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ (الأنعام: ٦١)، وإلى الملائكة في آية أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾، وقوله عليه السلام: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت ومرة للرسل ومرة للملائكة، فقال عليه السلام: «إن الله تعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله؛ لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، وملك الموت أعوان، من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتونه منسوب إليه، فإذا كان فعلهم فعل ملك الموت

(١) الاحتجاج: الطبرسي، ج ١، ص ٣٦٧.

(٢) تفسير الميزان: ج ١٦، ص ٢١٥.

(٣) الأمل: ج ٣، ص ٤١٠.

بيان شبهة الأشاعرة:

استدلَّت الأشاعرة على مطلبها بثلاثة أمور، ذكرها الفخر الرازي في تفسيره، والفخر الرازي يعد من أبرز علماء الأشاعرة، والأمور الثلاثة هي:

الأمر الأول: الرزق في كلام العرب هو الحظ، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَدِّبُونَ﴾ (الواقعة: ٨٢)، أي: حظكم من هذا الأمر، والحظ هو: نصيب الرجل وما هو خاص له دون غيره^(١). إذن فهم اعتمدوا على استعمال الرزق في أصل اللغة، ولما كان الرزق في أصل اللغة هو الحظ والحظ هو نصيب الرجل وما هو خاص له دون غيره والآية نفت أن يكون الإنسان هو الذي يجعل رزقه فلا بد أن يكون الرزق الحرام رزقاً.

قال الرازي: وقال أصحابنا: الحرام قد يكون رزقاً، فحجة الأصحاب من وجهين:

الأول^(٢): أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب على ما بيناه، فمن انتفع بالحرام فذلك الحرام صار حظاً ونصيباً، فوجب أن يكون رزقاً له^(٣).

من الله تعالى - نلاحظه يستعمل عند الفسقة من أهل الرقص، والغناء، والخلاعة، والميوعة، أو من البنات التي تدخل سلك الرياضة الفاضحة العارية؛ بحيث إن أحدهم يقول: وفقني الله تعالى واستطعت التفوق وأخذ الميدالية الكذائية، أو تقول الراقصة أو المغنية: كنت غير معروفة ولكن الحمد لله تعالى بعد ذلك اشتهرت وتوفقت، وهم يعتبرون أن ما حصلوا عليه من أموال، وسمعة، وشهرة، هو رزق من الله تعالى لهم.

ومن ذهب إلى أن الرزق المحرّم ينسب إلى الله تعالى هم الأشاعرة^(١)، وهذا ينسجم مع مذهبهم العقائدي؛ حيث إنهم يقولون بالجبر، وينسبون الأفعال كلها لله تعالى صالحها وطالحها، وأن الإنسان مجبور في أفعاله وليس مخيراً، وهذا هو مذهب الجبر، وقد بين علماءنا في العقائد أن هذا المذهب باطل، ويلزم عليه عدّة لوازم فاسدة، منها نسبة القبيح إلى الله تعالى عندما يقتل الإنسان الآخر ظلماً وعدواناً ويقولون هو فعل الله، ومنها إبطال الثواب والعقاب؛ لأنه إذا كان الفعل فعل الله تعالى فلماذا يعاقب عليه يوم القيامة؟ وتوجد لوازم فاسدة أخرى مذكورة في محلها في العقائد.

(١) تفسير الرازي: ج ٢، ص ٣٠.

(٢) والوجه الثاني هو ما سنذكره في الأمر الثاني.

(٣) تفسير الرازي: ج ٢، ص ٣٠.

(١) إنما نركز على قول الأشاعرة لأنه يمثل الجانب العقائدي عند أغلب أبناء العامة؛ ولأنه يخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام في أغلب المسائل العقائدية.

جواب الشبهة:

ولنا وقفان:

إحدهما: الإجابة عن كل استدلال بخصوصه من الاستدلالات التي ذكرت.

وثانيتها: في ذكر ما يدل على بطلان أصل الدعوى.

الوقفة الأولى: الإجابة عن كل استدلال بخصوصه:

أمّا ما ذكره في الأمر الأول: فلا نسلم أن معنى الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب، ولم يذكر دليلاً على ذلك، بل ذكر الفيروز آبادي في القاموس المحيط: أن الرزق بالكسر هو ما ينتفع به^(١).

ونفس المعنى ذكره الزبيدي في تاج العروس: ونقل عن ابن بري: الرزق بمعنى العطاء^(٢).

مضافاً إلى أن القرآن الكريم عندما يستعمل مفهوماً معيناً ولم يذكر فيه تفسيراً ولم يتصد لبيان، فهذا يعني أنه أحاله إلى الفهم العرفي، وعليه نرجع إلى العرف في فهم معنى الرزق، والعرف لا يفهم منه أنه الحظ والنصيب، بل يفهم منه معنى العطاء أو ما ينتفع به.

(١) القاموس المحيط: الفيروز آباد، ج ٣، ص ٢٣٥.

(٢) تاج العروس: الزبيدي، ج ١٣، ص ١٦٢.

الأمر الثاني: التمسك بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، حيث قال الرازي: تعلق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أن الرزق قد يكون حراماً، قالوا: لأنه ثبت أن إيصال الرزق إلى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق، والله تعالى لا يخل بالواجب، ثم قد نرى إنساناً لا يأكل من الحلال طول عمره، فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه، فيكون تعالى قد أحل بالواجب وذلك محال، فعلمنا أن الحرام قد يكون رزقاً^(١).

الأمر الثالث: استدلال الأشاعرة بما روه عن صفوان بن أمية قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن قرّة، فقال: يا رسول الله إن الله كتب عليّ الشّقوة فلا أراني أرزق إلا من دقّي^(٢) بكفّي فأذن لي في الغناء، فقال ﷺ: «لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت أي عدوّ الله، والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً، فاخترت ما حرّم الله عليك مكان ما أحلّ الله لك من حلاله»^(٣).

قال الرازي: هذا الخبر حجة لنا، لأن قوله ﷺ: «فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه» صريح في أن الرزق قد يكون حراماً^(٤).

(١) تفسير الرازي: ج ١٧، ص ١٦٨.

(٢) الدف: آلة اللّهو.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٢٩٣.

(٤) تفسير الرازي: ج ٢، ص ٣٠.

وأما ما ذكره في الأمر الثالث: فيمكن الإجابة عنه بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول:

إنه مطعون في سنده^(١).

الجواب الثاني:

على تقدير صحته لا بد من تأويله، بأن إطلاق الرزق على الحرام فيه لمشكلة قوله: (فلا أراني أرزق إلا من دفي بكفي)، على حدّ قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٤)، وباب المشكلة وإن كان نوعاً من أنواع المجاز، لكنه واسع كثير الورد في الكتاب والسنة، معروف الاستعمال في نظم البلغاء ونثرهم فلا بد من المصير إليه جمعاً بين الأدلة^(٢).

الجواب الثالث:

أن يحمل كلام رسول الله ﷺ على فكرة المقاصة التي ذكرتها الأحاديث الشريفة عن الرسول الأكرم ﷺ وعن أهل البيت العصمة عليهم السلام، وحاصلها: أن الله تعالى جعل رزق كل إنسان من حلال، وأن الرزق الصادر منه تعالى والواصل إلى عباده هو الرزق الحلال، فإذا انحرف الإنسان ولم يرض برزقه الحلال وأخذ الحرام، فإن الله تعالى يقص من رزقه الحلال بمقدار ما

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٢٩٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

وأما ما ذكره في الأمر الثاني: لا نسلم مادة النقض، أي: لا نسلم وجود إنسان لم يرزق الحلال طول عمره، أو كان رزقه حراماً طول عمره، والإخلال بالواجب إنما يكون قبيحاً إذا وجد هكذا إنسان ولم يصله رزقه إلا من الحرام، ونحن لا نسلم مادة النقض ببيانين:

البيان الأول:

إن الرزق - باتّفاق الأشاعرة والمعتزلة - أعم من الغذاء، وهو يشمل الهواء، والأمور الطبيعية التي سخرها الله تعالى للإنسان، ولا يوجد إنسان إلا وهو منتفع منها، ومعلوم أنها (الهواء والأمور الطبيعية) ليست من المحرمات بل هي أمور مباحة. والإنسان المتنعم بها يعد مرزوقاً بالرزق المباح، فلا يوجد إنسان لم يرزق إلا الحرام طوال عمره كما يدّعون. وهكذا فإن الرزق يشمل الأمور المعنوية، وهي لا تتّصف بالحلال والحرام، كالذكاء والفطنة، والتعقل، ونحو ذلك.

البيان الثاني:

كل ما يأكله الإنسان في أيام الصغر وعدم التكليف فهو لا يتّصف بالحرمة ولا غيرها من الأحكام التكليفية الخمسة؛ لأنه غير مخاطب بالتكاليف الشرعية، فلا يوجد عليه شيء واجب أو حرام أو نحو ذلك باتّفاق المسلمين، فكيف يمكن فرض وجود شخص لم يرزق إلا الحرام طول حياته؟

وعجل فأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة»^(١).

فلو كان الرزق الحرام من الله تعالى فكيف يحاسبه عليه يوم القيامة، ولعلّ هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وقف عند منتهى رزقك»، قال محمد جواد مغنیه: أي: الحلال الطيب ودع الحرام الخبيث^(٢).

الوقف الثانية: ما يدل على بطلان أصل الدعوى:

وهنا نذكر خمسة أدلة على بطلان أصل الدعوة من جهة ونبين مطلوبنا من جهة أخرى.

الدليل الأول:

إن ما ينتفع به الإنسان انتفاعاً محرماً لكونه سبباً للمعصية لا ينسب إليه تعالى؛ لأنه نفى نسبة المعصية إلى نفسه من جهة التشريع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (النحل: ٩٠)، وحاشاه سبحانه أن ينهى عن شيء ثم يأمر به، أو ينهى عنه ثم يحصر رزقه فيه.

تناول من الحرام. فالحرام ليس رزق الله تعالى، بل هو تصرف من الإنسان نفسه وتجاوز على حدود الله تعالى ونتيجته أنه يقص من رزقه الحلال بمقدار ما ارتكب وأخذ من الحرام. ومن الأحاديث الدالة على هذه المعنى:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تعالى خلق الخلق، وخلق معهم أرزاقهم حلالاً، فمن تناول شيئاً منها حراماً قص به من ذلك الحلال»^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها من الحلال الذي فرض لها»^(٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: ألا أن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً، ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله وصبر أتاه الله برزقه من حله، ومن هتك حجاب الستر

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٦.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٥.

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٤-٤٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٨٣.

الدليل الثاني:

لا ينبغي التأمل في أنّ هذا النزاع بين الفريقين ليس في مجرد وضع اللفظ ومحض اللغة، كيف والمرجع فيها إلى أربابها، مع أنّ الخطب في مثله سهل، ولا في أنّ كثيراً من الناس بل أكثرهم يتنفعون بالحرام، بل ربما يعيشون به طول أعمارهم، ولا في أنّ صفة الحرمة الشرعية ثابتة لكلّ من الأخذ، والأكل، والقنية إذا لم يكن على الوجه المباح المأذون فيه في الشرع، إنّما الكلام بين الفريقين في أنّ الله تعالى هل جعل أرزاق العباد في الأشياء الطيبة المباحة وإن اختاروا بسوء اختيارهم غيرها، بل وعاشوا بالأشياء الخبيثة المحرّمة طول عمرهم؟ أو أنّه جعل أرزاقهم في كلّ ما يعيشون به ويتنفعون منه؟ فالعدليّة لما ذهبوا إلى التحسين والتبجح العقليين، واستحالوا القبح على الله سبحانه، اختاروا الأوّل، والأشاعرة لما لم يقولوا بالعدل ذهبوا إلى الثاني، ومن هنا يظهر أنّ الأوّل تفرّيع هذه المسألة على ذلك الأصل، وكأهمّ إنّما استدلّوا ببعض هذه الوجوه في المقام تأييداً وتقريباً للأصل^(١).

فروح الجواب يرجع إلى خلاف عقائدي جوهرية بين فرق المسلمين في مسألة التحسين والتبجح، فالأشاعرة يقولون: إن

(١) تفسير الصراط المستقيم: السيد حسين البروجردي، ج ٤، ص ١٥٩.

ولا منافاة بين عدم كون نفع محرم رزقاً بحسب التشريع وكونه رزقاً بحسب التكوين؛ إذ لا تكليف بالتكوين حتّى يستتبع ذلك قبحاً، وما بيّنه القرآن من عموم الرزق هو بحسب حال التكوين^(١).

فالله تعالى من جهة التشريع أمرنا بالحلال ونهانا عن الحرام، فما يأخذه الإنسان من الحرام لا ينسب إليه تعالى، إذ كيف ينسب إليه شيء نهى عنه وجعل عليه العقاب يوم القيامة، وهذا لا يمنع أن الله تعالى له رزق تكويني يشمل الجميع البر والفاجر، والحلال والحرام، وبهذا المعنى يمكن أن نطلق الرزق على الحلال والحرام.

وكما أنّ الرحمة رحمتان، رحمة عامة تشمل جميع الخلق من مؤمن وكافر، ومتّق وفاجر، وإنسان وغير إنسان، ورحمة خاصة وهي الرحمة الواقعة في طريق السعادة كالإيمان والتقوى والجنة، كذلك الرزق، منه ما هو رزق عام وهو العطية الإلهية العامة الممدودة لكل موجود في بقاء وجوده، ومنه ما هو رزق خاص وهو الواقع في مجرى الحل، وكما أنّ الرحمة العامة والرزق العام مكتوبان مقدران، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢). كذلك الرحمة الخاصة والرزق الخاص مكتوبان مقدران^(٢).

(١) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٣٨.

(٢) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٤٠.

الدليل الخامس:

إنَّ الله تعالى مدح المؤمنين على إنفاقهم مما يرزقهم، فقال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣)، ولا خلاف بأنَّ المنفق من الحرام لا يستحق المدح، بل يستحق الذم - وقد بينت الشريعة الإسلامية ذلك - إذن لا يسمى الحرام رزقاً^(١).

الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، فكل ما يفعله الشرع فهو حسن وإن كان قبيحاً بحكم العقل.

والعدلية - الإمامية والمعتزلة - يقولون: إن الحسن ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل، وعليه يعتبرون أن الله تعالى لم يجعل أرزاق العباد في المحرمات؛ لأنه من القبيح أن يجعل الله تعالى أرزاق العباد في المحرمات ثم ينهاهم عنها ويعاقبهم على فعلها.

الدليل الثالث:

لو كان الحرام رزقاً للزم أن يكون أموال الناس رزقاً للغاصبين والظالمين، ويلزم فيمن وطئ زوجة غيره أن يكون ذلك رزقاً له كما أنه إذا وطئ زوجة نفسه يكون كذلك^(١).

الدليل الرابع:

إنَّ الله تعالى أمرنا بالإنفاق مما رزقنا، فقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (المنافقون: ١٠)، ولا خلاف بأنَّ الله تعالى نهانا عن الإنفاق من الحرام. فهذا يثبت عدم صحّة تسمية الحرام برزق^(٢).

(١) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ص ١٠٥.

(٢) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ص ١٠٥.

(١) الاقتصاد، الشيخ الطوسي: ص ١٠٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «... واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقرباً أجلاً ولم يقطعاً رزقاً، أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان...»^(١).

بيان شبهة:

ومن هنا قد يكون هنالك ذريعة للبعض للقول بأن الإسلام يعد أفيون الشعوب، حيث إن الله تعالى تكفل رزق العباد وتكفل إيصاله إليهم سواء عملوا أم لم يعملوا، ومن لم يستطع الحصول على شيء يقول: إنه ليس من رزقي! ولو كان من رزقي المقدر لوصل إليّ، وهذا معناه القضاء على الطاقات، وحرمان الإسلام من نشاطه الحيوي الإيجابي، وبالنتيجة يكون الدين الإسلامي أحد عوامل الركود الاقتصادي، وتقبل الحرمان، وإماتة النشاطات الإيجابية في الحياة، وكل هذا بسبب التمسك بنظرية التقدير في الأرزاق والاعتماد على مقولة: إن من خلق الأشداق قدر لها الأرزاق.

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (الأول)،

الفصل الثالث

ونتعرض فيه إلى أربع نقاط:

النقطة الأولى: تقدير الأرزاق:

دلّت بعض الآيات المباركة والروايات الشريفة على أن أرزاق العباد مقدرة عند الله تعالى ومعينة، أمّا الآيات فكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: ٦)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالِغِّ أَمْرِهِ قَدَّ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣).

وأما الروايات فكما عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الرزق ينزل من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدر لها، ولكن لله فضول، فاسألوا الله من فضله»^(١).

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٥٤.

منها: عن موسى بن بكر قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ﷺ...»^(١).

ومنها: عن كليب الصيداوي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ادع الله ﷻ لي الرزق، فقد التاثت^(٢) عليّ أموري، قال: فأجابني مسرعاً: «لا، اخرج فاطلب»^(٣).

ومنها: عن أيوب أخي أديم بياع الهروي، قال: كنا جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل علاء بن كامل فجلس قدام أبي عبد الله عليه السلام فقال: ادع الله أن يرزقني في دعة، قال: «لا أدعوك، أطلب كما أمرك الله ﷻ»^(٤).

ومنها: عن سليمان بن معلى بن خنيس، عن أبيه قال: سألت أبو عبد الله عليه السلام عن رجل وأنا عنده، فقيل: قد أصابته الحاجة، قال: «فما يصنع اليوم؟» قيل: في البيت يعبد ربه ﷻ، قال: «فمن أين قوته؟» قيل: من عند بعض إخوانه، قال أبو عبد الله عليه السلام: «والله للذي يقوته أشد عبادة منه»^(٥).

(١) الكافي: ج ٥، ص ٩٣.

(٢) التاثت: التفت وأبطأت. وقوله (لا) أي: لا أدعو.

(٣) الوافي: ج ١٧، ص ٢٤.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٢٠.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٢٤.

وجوابها:

إن هذا بعيد كل البعد عن الروح الإسلامية والتعاليم السامية التي جاء بها؛ لأن الإسلام يعد أساس أي استفادة مادية ومعنوية للإنسان هو السعي والجد والمثابرة، حتى أننا نجد في القرآن جملة بمثابة الشعار لهذا الموضوع، وهي الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)^(١). وهذا ما أكدته الآيات والروايات الدالة على الحث على طلب الرزق كما سنبين في النقطة الثانية.

النقطة الثانية: الحث على طلب الرزق:

وفي مقابل الآيات والروايات الدالة على كون الأرزاق مقدره من الله تعالى، هنالك آيات وروايات تدل على استحباب طلب الرزق والسعي له.

أمّا الآيات، فكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

وأمّا الروايات، فهي كثيرة في هذا المعنى:

(١) الأمل: ج ٦، ص ٤٧١.

أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلقاً أفضل منه، حتى رأيت ابنه محمد بن علي، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ فقال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة، على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا، أما لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه، فرد عليّ بنهر، وهو يتصاب عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة، على هذه الحال في طلب الدنيا، رأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال، فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله صلى الله عليه وسلم أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو أن جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني»^(١).

ومن ذلك ما روي عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام حيث قال الراوي: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: «يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي»،

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٢٠.

وقد مارس الأنبياء السابقون عليهم السلام ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم العمل، والسعي في طلب الرزق، وأكدوا على ذلك عملياً، وهذا المعنى أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «وما بعث الله نبياً إلا زراعاً، إلا إدريس - عليه السلام - فإنه كان خياطاً»^(١)، وعن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أوحى الله صلى الله عليه وسلم إلى داود عليه السلام أنك نعَم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً؛ فأوحى الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديد: أن لن لعبيدي داود، فألأن الله صلى الله عليه وسلم له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال»^(٢). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وأن أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف مملوك من ماله وكدّ يده»^(٣).

وما أروع ما ينقله لنا التاريخ عن الإمام الباقر عليه السلام حيث جسّد هذه المعاني الإسلامية الرائعة، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أظن

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٢.

(٢) الكافي، الكليني: ج ٥، ص ٧٤.

(٣) الكافي، الكليني: ج ٥، ص ٧٤.

فالعلم من التعلُّم، والصحة من الغذاء والوقاية، والمال من العمل، فمن تعلَّم علم، ومن اتَّقَى أسباب الداء سَلِم، ومن انتحر مات، ومن زرع حصداً، سواء أ كان طيباً أم خبيثاً، مؤمناً أم كافراً، فالطبيعة أو الإيمان لا ينبت قمحاً، ولا يشفي داءً، ولا يجعل الجاهل عالماً، كل هذه وما أشبه تجري على سنن الطبيعة، وسنن الطبيعة تجري على مشيئة الله، ما في ذلك ريب، لأنه هو الذي جعل التعلم سبباً للعلم، والوقاية سبباً من أسباب الصحة، والزراعة سبباً للحصاد، أنه خالق كل شيء، وإليه ينتهي كل شيء^(١).

والخلاصة أن الرزق يستند إلى أمرين: السعي وإرادة الله معاً، فمن ترك السعي عاش كلاً على الناس، ومن سعى رَزَقَهُ الله من سعيه^(٢).

وفي نفس الوقت لا ننكر أن بعض الأرزاق تصل إلى الإنسان سواء سعى لها أم لم يسع، كما إذا حصل على المال ونحوه بالإرث، أو الوصية، أو الهدية، أو الجائزة، أو اللقطة ونحوها. وكالاتفاح من نِعَم الله تعالى التي سخرها لكل البشر كالهواء، ونور الشمس، وموارد الطبيعة، وقوة التفكير والتعقل، والاستعداد المذخور فينا، فكل ذلك من رزق الله تعالى الواصل إلى كل عباده بلا سعي وتحصيل، بل تفضلاً منه تعالى.

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ج ٣، ص ١٣١.

(٢) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ج ٣، ص ١٣٣.

فقلت له: ومن هو؟ فقال: «رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وآبائي ﷺ كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»^(١).

فلو كان رزق الله يصل إلى الإنسان بدون سعي وجدّ وطلب، لكان الأنبياء والأئمة المعصومون ﷺ أولى بذلك، ولما احتاجوا إلى السعي والعمل.

سؤال: كيف يمكن التوفيق بين ما دلّ على كون الأرزاق مقدّرة من الله تعالى لكل العباد من أول يوم إلى آخر يوم من حياتهم، وبين الحث الذي دلّت عليه الآثار على طلب الرزق والسعي له؟

وفي الجواب نقول: إن رزق كل أحد مقدّر وثابت، إلا أنه مشروط بالسعي والجهد، وإذا لم يتوفر الشرط لم يحصل المشروط^(٢). فإن للحياة سنناً وقوانيناً تجري عليها، ولا تتخطاها بحال، لأن تصور الفوضى في الكون يرفضه الحس والمشاهدة، وهذه السنن والقوانين من صنع الله تعالى؛ لأنه هو خالق الطبيعة وما فيها، وبديهة أن القوانين الطبيعية تأبى أن تمطر السماء مالاً وصحةً وعلماً، وإنما تأتي هذه وأمثالها من طرقها وأسبابها الطبيعية.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٥، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٦، ص ٤١٧.

نقب وسيع، فأمرهم بحفره، فوجدوا فيه أموالاً عظيمة وذخائر لابن ياقوت.

ثم استلقى يوماً آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حية في السقف، فأمر غلمانه بالصعود إليها وقتلها، فهربت منهم، ودخلت في خشب الكنيسة، فأمر أن يقلع الخشب وتستخرج وتقتل، فلما قلعوا الخشب وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار ذخيرة لابن ياقوت.

واحتاج أن يفصل ويخيط ثياباً له ولأهله فقيل: هاهنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت، وهو رجل منسوب إلى الدين والخير، إلا أنه أصم لا يسمع شيئاً أصلاً، فأمر بإحضاره، فأحضر وعنده رعب وهلع، فلما أدخله إليه كلمه، وقال: أريد أن تخيط لنا كذا وكذا قطعة من الثياب، فارتعد الخياط واضطرب كلامه، وقال: والله يا مولانا ما له عندي إلا أربعة صناديق ليس غيرها، فلا تسمع قول الأعداء في. فتعجب عماد الدولة وأمر بإحضار الصناديق، فوجدوها كلها ذهباً وحباً وجواهر مملوءة وديعة لابن ياقوت^(١).

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١١٥.

وأشار أئمتنا عليهم السلام إلى هذه الحقيقة في أحاديثهم، ومنها: ما ذكره الشيخ المفيد عليه السلام في المقنعة، قال: قال الصادق عليه السلام: «الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه والآخر معلق بطلبه، فالذي قسم للعبد على كل حال آتية وإن لم يسع له، والذي قسم له بالسعي فينبغي أن يلتمسه من جوهه، وهو ما أحله الله له دون غيره، فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به»^(١).

وهي واضحة الدلالة على أن الرزق قسم منه يصل إلى الإنسان بلا حاجة إلى السعي والطلب، ولعل هذا ما أشرنا إليه كالمطر والهواء ونحوهما، وقسم آخر مقدر للإنسان ومقسوم له، ولكنه مشروط بالسعي والطلب من وجهه الحلال.

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا كثيراً في خطبه، ومنها: قوله: «واعلم يا بني أن الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن أنت لم تأتته أتاك»^(٢).

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر يُقال: دخل عماد الدولة أبو الحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت عنها، وهو فقير لا مال له، فساخت إحدى قوائم فرسه في الصحراء في الأرض، فنزل عنها وابتدرها غلمانه فخلصوها، فظهر لهم في ذلك الموضع

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ج ٥، ص ٥٧.

قيل لأمر المؤمنين عليه السلام: لو سدّ على رجل باب بيته وترك فيه، من أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: «من حيث يأتيه أجله»^(١).

النقطة الثالثة: كيف يتحقق طلب الرزق؟

من الأمور المهمة التي شغلت بال الكثير من المشرّعين في الدول الحديثة، وعند طيف كبير من الناس، خصوصاً الشباب، مسألة توفير فرص العمل المناسب، لذلك تذكر حلول كثيرة في هذا المجال تحت عنوان (القضاء على البطالة)، وعلى أثر ذلك انطبع في أذهان كثير من الشباب، والراغبين في العمل أن فرص الرزق، وتوفير مكتسبات المعيشة مرتبط بالوظيفة الحكومية، والتعيينات التابعة لها؛ حتى أن الشاب الذي لم يوفّق في الدراسة، أو وفّق ولم يتعيّن، يرى أن سبل المعيشة مسدودة في وجهه، وأنه غير قادر على مواصلة الحياة.

وهذا التفكير له مردودات سلبية كبيرة على الفرد والمجتمع، حيث لا يلتفت الإنسان أن لديه طاقات كبيرة، وفرص عظيمة للوصول إلى مراحل متقدمة من الإبداع والإنتاج، وفي شتى المجالات، بل ولا يحاول الاستفادة من الموارد الطبيعية التي وفّرها الله تعالى له، ومن هنا نشاهد كثير من الشباب في الأرياف هجروا الزراعة، وتركوا العمل في الحقول وتربية الحيوانات، إيماناً منهم أنها لا تلبّي طموحاتهم في الحياة؛ خصوصاً عندما

إرادة الخالق فوق إرادة المخلوق:

عندما يسيطر بعض الظالمين على مقدرات الناس، ويتصور أن أرزاقهم بيده، بحيث يعطي ويمنع، ويفعل ما يشاء، يغفل عن الإرادة الإلهية التي لا يستطيع أحد منعها أو ردعها مهما أوتي من قوة وسلطان.

فكثير من الناس لم يقصروا في السعي لطلب الرزق، ولكن سجنوا أو قهروا من بعض الظلمة، أو نفوا إلى ديار خالية من كل مقومات المعيشة، وهنا تتدخل الإرادة الإلهية لاستمرارهم في الحياة، واستيفاء رزقهم المكتوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن دانيال عليه السلام كان في زمن ملك جبار، فأخذه وطرحه في الجب وطرح معه السباع لتأكله، فلم تدن إليه، فأوحى الله - تعالى - جلّت عظمته - إلى نبي من أنبيائه (صلوات الله عليهم): أن ائت دانيال بطعام، قال: يا رب وأين دانيال؟ قال: تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فيدلك عليه، فخرج فأنتهى به الضبع إلى ذلك الجب، فإذا بدانيال عليه السلام فيه فأدلى له الطعام، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من دعاه، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً وبالصبر نجاة»، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أبى الله أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون...»^(١).

(١) الأماي: الشيخ الطوسي، ص ٣٠٠، الوافي، الفيض الكاشاني، ج ٩، ١٦٤٩.

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٨٣.

الرزق؟ فقال: «إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك»^(١)، وعن أبي عمارة الطيار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه قد ذهب مالي، وتفرق ما كان في يدي، وعيالي كثير، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قدمت الكوفة فافتح باب حانوتك، وابسط بساطك، وضع ميزانك، وتعرض للرزق من الله تعالى»، قال: فلما أن قدم الكوفة فتحت باب حانوته، وبسط بساطه، ووضع ميزانه، قال: فتعجب من حوله بأن ليس في بيته قليل ولا كثير من المتاع، ولا عنده شيء، قال: فجاءه رجل فقال: اشتر لي ثوباً، قال: فاشترى له ثوباً وأخذ ثمنه فصار الثمن إليه، قال: ثم جاءه آخر، فقال: اشتر لي ثوباً، قال: فطلب له في السوق واشترى له ثوباً وأخذ ثمنه وصار في يده، وكذلك يصنع التجار يأخذ بعضهم من بعض، ثم جاءه رجل آخر، فقال له: يا أبا عمارة إن عندي عدلاً من كتان فهل تشتريه مني وأؤخرك بثمنه سنة؟ قال: نعم، احمله وجيء به، قال: فحمله إليّ، فاشتريته منه بتأخير سنة، قال: فقام الرجل فذهب، ثم أتاه آت من أهل السوق فقال له: يا أبا عمارة ما هذا العدل؟ قال: هذا عدل اشتريته، قال: فبعني نصفه وأعجل لك ثمنه، قال: نعم، فاشترته منه وأعطاه نصف المتاع وأخذ نصف الثمن، قال: فصار في يده الباقي إلى سنة، قال: فجعل يشتري بثمنه الثوب والثوبين ويعرض ويشترى ويبيع حتى أثرى وعرض وجهه وأصاب معروفاً^(٢).

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ٩٩.

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ١٠٠.

يتأثرون بأفراد قليلين سمحت لهم الفرصة في التعيين، أو الالتحاق بالقوات المسلحة ونحوها، وهكذا في أبناء المدينة، الذين كانت لأبائهم مهنة شريفة ومشهورة، كالحياطة، والنجارة، وبيع الخضار، ونحوها، ومع ذلك هجرها، ولم ينتفعوا منها، وبالنتيجة تولدت عندنا حالات كثيرة من البطالة، والبطالة المقنعة، حتى وصل بنا الأمر أن يكون بلدنا - بلد الرافدين - مستهلكاً، ومستورداً لأبسط الحاجات والسلع الرخيصة، وغير قادرين على صناعة أواني الطعام، وأكياس النفايات!

مع أننا لو أتبعنا تعاليم الإسلام الحنيف لما وصلنا إلى هذا الحال، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر، فأبعده الله»^(١). أي: أن من وجد المادة الأولية في العمل فعليه استغلالها والانتفاع منها، وما أكثر الخيرات وأعظمها في بلادنا، لو استغلت بالشكل الصحيح.

ومع كل ذلك لا ينبغي اليأس من عطاء الله تعالى، فعلى المرء أن يسعى وليس عليه أن يكون موفّقاً، وأدنى ما يحقق السعي هو أن يخرج الإنسان إلى معرض العمل، ويبقى وسائله، والباقي على الله تعالى، فمن كان عنده دكاناً يفتحه، ويعرض ما كان فيه، وهكذا من كان نجاراً، أو خياطاً، أو غير ذلك.

وهذا المعنى نجده واضحاً جداً في ثقافة أهل البيت عليهم السلام، عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء على الرجل في طلب

(١) قرب الإسناد: الحميري القمي، ص ١١٥.

النقطة الرابعة: الإجمال في طلب الرزق:

تبين مما تقدم أن الشريعة المقدسة في الوقت الذي بينت أن الله تعالى قدر الأرزاق للعباد، وتكفل بها، طلبت منه السعي إلى تحصيلها، ولكن مع ذلك ينبغي الالتفات إلى حدود ذلك؛ حتى لا تقع في الإفراط أو التفريط، فبعض الناس ترك طلب الرزق إلى حد الاعتقاد على الآخرين في قوته، وقوت عياله، وأصبح عالية على المجتمع، وبعض آخر بالغ في الأمر فجعل همه الانشغال بالعمل، وتحصيل الأموال مما أدى إلى تضييع حقوق الله تعالى، وحقوق المجتمع.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد تكفل لكم بالرزق وأمرتم بالعمل، فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين، حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم، وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم، فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجي من رجعة العمر ما يرجي من رجعة الرزق. ما فات من الرزق رجي غداً زيادته. وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعتة. الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»^(١).

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ٢٢٦.

عن البجلي قال: كان رجل من أصحابنا بالمدينة، فضاق ضيقاً شديداً واشتدت حاله، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «اذهب فخذ حانوتاً في السوق، وابسط بساطك، وليكن عندك جرّة من ماء، والزم باب حانوتك»، قال: ففعل ذلك الرجل فمكث ما شاء الله، قال: ثم قدمت رفقة من مصر وألقوا متاعهم، كل رجل منهم عند معرفته وعند صديقه حتى ملأوا الحوانيت، وبقي رجل لم يصب حانوتاً يلقي فيه متاعه، فقال له أهل السوق: هاهنا رجل ليس به بأس وليس في حانوته متاع، فلو ألقيت متاعك عنده في حانوته، فذهب إليه فقال له: ألقى متاعي في حانوتك؟ فقال له: نعم، فألقى متاعه في حانوته، وجعل يبيع متاعه الأول فالأول، حتى إذا حضر خروج الرفقة بقي عند الرجل شيء يسير من متاعه فكره المقام عليه، فقال لصاحبنا: أخلف هذا المتاع عندك تبيعه وتبعث إليّ بثمنه، قال: فقال: نعم، فخرجت الرفقة، وخرج الرجل معهم، وخلف المتاع عنده فباعه صاحبنا وبعث بثمنه إليه. قال: فلما أن تهيأ خروج الرفقة من مصر بعث إليه ببضاعة فباعها وردّ إليه ثمنها، فلما رأى ذلك منه الرجل أقام بمصر وجعل يبعث إليه بالمتاع ويجهز عليه، قال: فأصاب وكثر ماله وأثرى^(١).

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ١٠١.

يغلبك عليه غالب، ولن يحتاج عنك ما قدر لك، فكم رأيت من طالب متعب نفسه مقتر عليه رزقه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير وكل مقرون به الفناء»^(١). وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

قال الشاعر:

اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وأنت حر
فلرب حتف فوقه ذهب ويقاوت ودر
وقال آخر:

إلى متى أنا في حل وترحال

من طول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنفك مغترباً
عن الأحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها
لا يخطر الموت من حرص على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة
أن القنوع الغنى لا كثرة المال^(٢)

كثير من الناس لا يقوم بترتيب أوقات عمله، فتراه مشغولاً في العمل على طول الوقت، في وقت الصلاة، ووقت الراحة، وفي كل وقت، وبعضهم يستمر من بداية النهار إلى منتصف الليل، فلا يكاد يتناول وجبة العشاء حتى يذهب إلى النوم، فلا ينتفع به أقرب الناس إليه، لا بموعظة، ولا بحكمة، ولا بتوجيه، مع أننا اليوم بأشد الحاجة إلى جلوس الإنسان المؤمن بين أفراد عائلته، ومحاولة فهمهم، وفهم مشاكلهم، وبيان الضار والنافع لهم، فالأبناء يتأثرون كثيراً بالآباء، ويمثلون لنصائحهم.

ومن هنا جاءت الشريعة المقدسة لتبين لنا ضابطة طلب الرزق على لسان الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص، الراضي بدنياه، المطمئن إليها، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف، ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكتسب ما لا بد منه، إن الذين أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم»^(١).

ولا يخفى أن الامتثال لهذه الضابطة يحتاج إلى إيمان حقيقي بالكفالة الإلهية، والوعود الربانية، وأن الإنسان إذا سعى إلى رزقه فلا يأخذ إلا ما كتبه الله تعالى إليه، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: «واعلم أنه لن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ١٦٣.

(١) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٨١.

وقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام تحليلاً رائعاً لذلك حين قال:
«الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأتته أتاك، فلا
تحمل همّ سنّتك على همّ يومك، وكفاك كل يوم ما هو فيه، فإن
تكن السنة من عمرك فإن الله ﷻ سيأتيك في كل غدٍ بجديدٍ ما
قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بغمّ وهمّ ما
ليس لك»^(١).

ومن هنا يتبيّن وهمّ من يتصور أن سعة الأرزاق مرتبط بذكاء
الشخص أو حيلته، وتسقط مزاعم كل من يدّعي أنه توصل إلى
ما توصل إليه بامتيازاته وقدرته، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان
أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: اعلموا علماً يقيناً أن الله ﷻ لم
يجعل للعبد وإن اشتد جهده، وعظمت حيلته، وكثرت مكائده،
أن يسبق ما سمى له في الذكر الحكيم، ولم يخل من العبد في ضعفه
وقلة حيلته أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم. أيها الناس إنه
لن يزداد امرؤ نقيراً بحذقه، ولن ينقص امرؤ نقيراً لحمقه، فالعالم
بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعتهم، والعالم لهذا التارك له
أعظم الناس شغلاً في مضرته»^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ج ٤، ٣٨٦.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٧، ص ٤٩.

بيان شبهة:

قد يشكك البعض في عدالة الله تعالى، وأنه كيف يكون ذلك بما يشاء، وما هي ضوابط المشيئة؟ أي: لماذا يوسع الله تعالى الرزق لبعض الناس، ويمنع البعض الآخر منه، مع أنه ظاهراً لا يختلف عنه في المؤهلات والاستعدادات، وهذا التساؤل لا يختص في مسألة الرزق فقط، بل هو سيال في مطلق التفاوت بين أفراد المجتمع، فالبعض يسأل: لماذا أنا عليل مريض، وفلان سليم وصحيح؟ ولماذا أنا قبيح وفلان جميل؟ ولماذا أنا قصير وفلان طويل؟ إلى غيرها من الأسئلة.

جواب الشبهة:

لا بد للفرد المؤمن أن يعلم بأن الله تعالى عادل، وغني، وقادر، وحكيم، فلا محالة تكون تصرفاته موافقة للحكمة والضوابط العادلة، ولا ينبغي الشك في ذلك أبداً، أما التفاوت في الرزق بحيث يكون موسعاً على بعض ومضيقاً على بعض آخر فذلك لأسباب معينة، كالحكمة الإلهية، أو مراعاة مصلحة العبد، أو لأجل الابتلاء والاختبار، أو لأجل الاستدراج، أو لأجل تكفير العقاب وتعجيل الثواب، أو لاختلاف الاستعدادات والقابليات.

وسيأتي في النقطة الثانية من هذا الفصل شرحاً مفصلاً لهذه الأسباب الستة، الموجبة للتفاوت في الرزق.

الفصل الرابع

ونتناول فيه ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: سعة الأرزاق وضيقها:

تطرح الآيات القرآنية مفهوماً واضحاً تبين فيه أن الله تعالى يرزق من يشاء، ويمنع ويضيق على من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٣٦). وقد صرح علماء التفسير: أن المراد من القدر في اللغة هو التضيق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ (الطلاق: ٧). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ (الفجر: ١٦). أي: يضيق^(١). والمعنى واضح، وهو أن الله تعالى يبسط الرزق ويوسع لبعض الناس، ويضيق ويقدر على البعض الآخر.

(١) تفسير الرازي: ج ٢٠، ص ١٩٥.

ب) مراعاة مصلحة العبد:

خلق الله العباد وهو أعلم بحالهم وبما يصلحهم ويفسدهم، فقد يكون الفقر لبعض دواءً ورا دعاً؛ لأنه لو كان غنياً لأفسد في الأرض ولا ارتكب الفواحش وطغى وعلا، وقد يكون الأمر بالعكس حيث يكون الغنى أصلح للعبد؛ لأنه لو صار فقيراً لصار سارقاً وقاطعاً للطريق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٧). قال الرازي في تفسيرها: يعنى أنه تعالى عالم بأن مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك القدر، فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل، بل لأجل رعاية المصالح^(١).

روي عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أُسِرِي بالنبى صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد... وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر ولو صرفته إلى غير ذلك لهلك...»^(٢).

وقد أشار إلى هذا المعنى الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي^(٣).

(١) تفسير الرازي: ج ٢، ص ١٩٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٢.

(٣) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ص ١٨٩-١٩٠.

النقطة الثانية: أسباب تفاوت الأرزاق:

أ) الحكمة الإلهية:

لم يبيّن لنا الله تعالى في كتابه الكريم ولا في السُنّة المطهّرة أسباب كثير من التشريعات الصادرة منه تعالى، وعندما يصل إليها العلماء ينسبون ذلك إلى حكمته وأنه تعالى أعلم بها، وليس من الضروري أن يطلع الإنسان على علل الكون والتشريعات الصادرة منه عليه السلام، فمن منا يعلم تشريع الحج وأنه لا بد من الطواف حول الكعبة سبعة أشواط، ورمي الجمرات، والمبيت في عرفات ومزدلفة؟ ومن منا يعلم علة كون الصيام في شهر رمضان وليس في غيره من الأشهر؟ وهكذا أغلب التشريعات الإلهية والأسرار الكونية، وهنا كذلك، ليس من الضروري أن نعلم سبب تفاوت الأرزاق مادام نعلم أنه تعالى حكيم وعادل وغني وببده كل شيء.

فلقد أعطى الله تعالى الصحة والمال والجمال لشرار خلقه وفسقتهم، وحُرم من ذلك كثير من الأنبياء والأولياء والصالحين عليهم السلام، نعم، مما لا شك فيه ولا شبهة أن هذا لحكمته تعالى، والله تعالى لا ينقض حكمته بكرمه، كما قال الإمام علي عليه السلام: «إن كرم الله سبحانه لا ينقض حكمته»^(١).

(١) ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٨٧٦.

وهناك قسم من الناس يتكلم عن الصبر والتحمل لأنه يعيش الرخاء والسعة، فيصاب بالفقر والفاقة ليختبر في مدعياته، وأنه هل يبقى على الصبر والتحمل أو لا؟

جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وقدر الأرزاق فكثرها وقللها، وقسمها على الضيق والسعة، فعدل فيها، لبيتلي من أراد بميسورها ومعسورها»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ (الفجر: ١٥-١٦). فالتعبير القرآني واضح في أن الله تعالى يختبر الإنسان ويمتحنه في حالتين، حالة الإكرام والسعة في الرزق، وحالة التضيق في الرزق. ولكن الإنسان إذا لم ينجح في الاختبار فسوف يتصور أن حالة التوسعة في الرزق هي نوع من التكريم الإلهي له. وأن حالة التضيق في الرزق هي نوع من الإهانة الإلهية له.

ولقد أشار العلامة الطباطبائي إلى هذه الحقيقة الإنسانية حينما قال: وأمّا الإنسان فإنه إذا أنعم الله عليه بنعمه حسب أن ذلك إكرام إلهي له أن يفعل بها ما يشاء فيطغى ويكثر الفساد، وإذا أمسك وقدر عليه رزقه حسب أنه إهانة إلهية فيكفر ويجزع^(٢).

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ص ١٧٧.

(٢) تفسير الميزان: ج ٢٠، ٢٨٢.

وأشار القرآن الكريم إلى مثال يدل على تأثير الفقر في بعض الناس البعيدين عن ثقافة التوكل على الله تعالى، قال عليه السلام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

فهم كانوا يقتلون بناتهم مخافة الإفلاس، أي: خوفاً من الفقر وعجزاً عن النفقة عليهن^(١)، فهنا مجرد الخوف دفعهم لقتل بناتهم، فلو كانوا أغنياء لانتفى هذا الخوف عندهم، ولما قتلوا بناتهم، فيكون الغنى إصلاح لهم. ومع الأسف نلاحظ حصول كثير من حالات الإسقاط المتعمد التي تمارس من بعض المسلمين، وتحت أعدار واهية، وهم بذلك يتعرضون لقتل نفس بريئة يحاسبهم الله تعالى على قتلها يوم القيامة.

ج) الابتلاء والاختبار:

قد تكون السعة في المال والبسط في الرزق لاختيار الإنسان وأنه كيف يتعامل مع تلك النعمة الإلهية المعطاة من الله تعالى، فكثير من الناس يقول: لو كنت غنياً وذا مال لأعطيت الفقراء وبنيت المستشفيات وفعلت كذا وكذا، ولو كان عندي إبل أو محاصيل زراعية لأخرجت زكاتها وخمسها ونحو ذلك من الأدعاءات، فعندما يكون على المحك وتعطى له تلك الأمور فإنه سيختبر بها، ليُعرف أنه هل يستطيع الوفاء أو لا؟

(١) تفسير الطبرسي: ج ٦، ص ٢٤٧.

فيتصورون أن هذا اللطف الإلهي قد شملهم لجدارتهم ولياقتهم له فيأخذهم الغرور المضاعف، وتستولي عليهم الغفلة، إلا أن عذاب الله ينزل عليهم فجأة، ويحيط بهم، وهم بين أحضان تلك النعم الإلهية العظيمة، وهذا في الحقيقة من أشد ألوان العذاب المألاً.

وهذا يصيب من هو ليس بأهل للتوبة ولا للعودة للرشد بعد التنبيه له، لذا يجب أن يكون الإنسان المؤمن يقظاً عند إقبال النعم الإلهية عليه^(١).

جاء في الحديث أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال: **إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَرْزُقَنِي مَا لَمْ يَرْزُقَنِي، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَدًا فَرَزَقَنِي وَلَدًا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَرْزُقَنِي دَارًا فَرَزَقَنِي، وَقَدْ خَفْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا، فَقَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ مَعَ الْحَمْدِ فَلَا»^(٢).**

هـ) تكفير العقاب وتعجيل الثواب:

ورد في كثير من الروايات أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً فإنه يتلي به بنقص من الأموال والأولاد، أو بسقم في بدنه، أو ضيق في عيشه، أو نحو ذلك، وما ذلك إلا لتكفير الذنوب. وأن الله تعالى

د) الاستدراج:

قد تكون النعم الإلهية وزيادتها وتواليها على الإنسان لأجل عقوبة الاستدراج، فكثير من الناس من يبارز الله تعالى بالمعصية ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ومع ذلك فإن الله تعالى لا يقطع نعمة عنه، بل يزيده في الأموال والأولاد، وليس حباله، بل لأنه يريد أن يعاقبه بتلك النعم.

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﷻ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾** (الأعراف: ١٨٢-١٨٣). قال الإمام علي عليه السلام: «كم من مستدرج بالإحسان إليه، مغرور بالستر عليه، مفتون بحسن القول فيه، وما أبلى الله عبداً بمثل الإملاء له»^(١).

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَأَذْنَبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ الْإِسْتِغْفَارَ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا فَأَذْنَبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ الْإِسْتِغْفَارَ وَيَتَمَادَى بِهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» بِالنَّعْمِ عِنْدَ الْمَعَاصِي»^(٢).**

والذي يستفاد من هذا الحديث - والأحاديث الأخرى في هذا المجال - أن الله تعالى يمنح - أحياناً - عباده المعاندين نعمة وهم غارقون في المعاصي والذنوب، وذلك كعقوبة لهم،

(١) بحار الأنوار: ج ٧٠، ١٠٠.

(٢) الكافي: الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٥٢.

(١) الأمل: ج ١٨، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٩٧.

والروايات الدالة على هذا المعنى كثيرة، نذكر بعضها:

فمنها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها، إمّا بسقم في جسده، وإمّا بضيق في رزقه، وإمّا بخوف في دنياه، فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت.

وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها، إمّا بسعة في رزقه، وإمّا بصحة في جسمه، وإمّا بأمن في دنياه، فإن بقيت عليه بقية هونت بها عليه الموت»^(١).

ومنها: عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا أراد الله بعبده خيراً عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبده سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة»^(٢).

ومنها: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مرّ نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه قد شعته الطير ومزقته الكلاب، ثم مضى فعرضت له مدينة، فدخلها، فإذا هو بعظيم من عظائمها ميت على سرير مسجى بالديباج حوله المجامر، فقال: يا رب أشهد أنك حكم عدل، لا تجور، هذا عبدك

قد يعجل عقوبة المؤمن في الدنيا حتى يلقاه وهو أملس لا تبعة عليه.

وفي المقابل إذا أراد بعبد سوءاً فإنه يعجل له ثواب أعماله في الحياة الدنيا، فإذا عمل عملاً صالحاً من صدقة، أو قضاء حاجة، أو نحو ذلك، يوسع له في المال، والرزق، والصحة، وكثرة الأولاد، وزوال الهموم والغموم، حتى يلقى الله تعالى وليس له من الأجر شيئاً.

وينبغي أن يكون هذا نذيراً للإنسان وأن لا يغتر عندما يبارز الله تعالى بالمعصية ويقابله بالرخاء والأمان والرزق. فما أقبح حال العبد عندما يقف بين يدي الله تعالى وهو خالي اليدين، ولا يحمل رصيلاً من الأعمال لأنه استوفاه في الحياة الدنيا.

وهذا غير الاستدراج؛ لأن عقوبة الاستدراج تتم حتى لو لم يعمل الصالحات، أي: ليس النظر فيها إلى أنه في مقابل أعماله الصالحة، بخلاف ما نحن فيه؛ فالاستدراج يعاقب به العاصي الغارق بالمعاصي حتى لو لم يعمل شيئاً من الحسنات والأعمال الصالحة، أمّا تكفير العقاب وتعجيل الثواب فهو عندما يعمل عملاً صالحاً يقابل بالتوسعة والرفاهية حتى يستوفي أجر هذا العمل في هذه الدنيا الفانية ولا يبقى له في الآخرة شيئاً، وفرق كبير بين المعنيين.

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٠٣٤.

(٢) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٠٣٤.

(و) اختلاف الاستعدادات والقابليات:

خلق الله تعالى المخلوقات بشكل متفاوت في كثير من الجوانب الذاتية والعرضية، فجعل منها البحار، والجبال، والكواكب، والإنسان، والحيوانات، والملائكة، إلى غيرها من أنواع المخلوقات المختلفة، وتبعاً لذلك اختلفت البنية الأساسية لكل واحد منها، فمنها الكبير والصغير، والطويل والقصير، والسمائي والأرضي، إلى ما شاء الله من الاختلافات، وأودع تعالى قابليات واستعدادات في كل نوع منها تناسب مع مكوناته وطبيعته؛ فالكوكب الكبير له الاستعداد أن يجذب الشمس والنور عن جانب كبير من الأرض بخلاف الكوكب الصغير، والدابة الكبيرة تتحمل الأعباء أكثر من الصغيرة، وبعض الحيوانات له القدرة على خداع فريسته أكثر من غيره؛ لما يتمتع به من فطنة وذكاء، أو لما زود به من الإمكانيات الخاصة.

وأفراد الإنسان ليسوا يبعدون عن هذا النظام الإلهي العام؛ فسنّة الاختلاف جارية بين الجميع؛ فالرجل يختلف عن المرأة في الخصائص الجسمية والروحية، فهو أقوى وأشد على تحمل المصاعب والظروف الخارجية المتعددة؛ لذا أنيط به الجهاد والقتال، وإدارة البلدان وغيرها من الأعمال الشاقة، أمّا المرأة فهي ريحانة كما عبرت عنها الأحاديث المباركة:

لم يشرك بك طرفة عين أمته بتلك الميتة، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمته بهذه الميتة، فقال: عبدي، أنا كما قلت حكم عدل لا أجور، ذلك عبدي كانت له عندي سيئة أو ذنب أمته بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبقَ عليه شيء، وهذا عبدي كانت له حسنة فأمتّه بهذه الميتة لكي يلقاني وليس له عندي حسنة^(١).

إذن زيادة الرزق ونقيصتها قد تحدد بعمل الإنسان نفسه واختياره، وهنا تتجلى الرحمة الإلهية لعبده المؤمن، وكيف أن الله تعالى يكفر له خطايا في هذه الحياة الدنيا.

ومن هنا نفهم الأحاديث الكثيرة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام من أن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه، وأنه من استشعر ولاية أهل البيت عليهم السلام وتولاهم حقاً فإنه يغمته بالبلاء غتاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال وعنده سدير: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا غَتَّهُ بِالْبَلَاءِ غَتًّا، وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ يَا سَدِيرُ لَنُضْبِحُ بِهِ وَنُْمِسِي»^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا غَتَّهُ بِالْبَلَاءِ غَتًّا، وَتَجَّهَ بِالْبَلَاءِ تَجًّا، فَإِذَا دَعَاهُ قَالَ لَبَيْكَ عَبْدِي لَبْنُ عَجَلْتُ لَكَ مَا سَأَلْتَ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ لَقَادِرٌ، وَلَبْنِ ادَّخَرْتُ لَكَ فَمَا ادَّخَرْتُ لَكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»^(٣).

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٠٣٦.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣.

المادي تكون أكبر بما يملكه من قوة الجسم والتحمل للعوامل الخارجية القاسية.

والمرأة كذلك لها استعدادات خاصة تمكنها من الحصول على بعض أنواع الرزق المعنوي والمادي دون الرجل؛ فلها القابلية على الحمل وإنجاب الأولاد وإرضاعهم، وهذا مما يترتب عليه رزقاً معنوياً كبيراً من الأجر والثواب العظيم، قالت أم سلمة: يا رسول الله، ذهب الرجال بكل خير، فأبي شيء للنساء المساكين؟ فقال ﷺ: «بلى، إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحدٌ ما هو لعظمه، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محرر من ولد إسماعيل، فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غفر لك»^(١).

مضافاً إلى أنها لها الحق في أخذ الأجرة في مقابل تربية الأولاد ورضاعهم؛ مما يجعل لها باباً من الرزق المادي دون الرجال.

وهنالك قابليات واستعدادات أخرى كثيرة تجعل بعض الأفراد أكثر رزقاً من البعض الآخر، وهذا ما نلمسه في واقعنا الاجتماعي المعاصر، ومن أمثلة ذلك ما يتمتع به البعض من فطنة وذكاء في مجال عمله؛ بحيث يكون متميزاً على أقرانه ومدعاة لجذب الآخرين إليه دون غيره؛ فيكون طبيياً حاذقاً، أو مهندساً

(١) وسائل الشيعة: آل البيت، ج ٢١، ص ٤٥١.

سُئِلَ النبي ﷺ عن الرجل يقبّل امرأته وهو صائم، قال: «هل هي إلا ريحانة يشمها»^(١).

وفي رسالة الإمام علي عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام قال: «فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»^(٢).

بل هي كتلة من المشاعر والحنان، وهذا ما يناسبها لأداء وظائفها الحياتية.

وحيثُ يتفاوت الطرفان من جهة الرزق المعنوي والمادي، وفرصة الرجال تكون أكبر من النساء للحصول على الشهادة وأجر الجهاد في سبيل الله، ولا يخفى أن من رزق الشهادة في سبيله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً، وهذا المعنى كان واضحاً عند المسلمين، حتّى أن بعض النساء استفسرت من رسول الله ﷺ عن سبب هذا التفاوت:

قيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول الله! يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال. فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلرِّجَالِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢)^(٣)، كما أن فرصة الرجال للرزق

(١) الوافي: ج ١١، ص ٢١٢.

(٢) الوافي: ج ١١، ص ٢١٢.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٣، ص ٧٣.

النقطة الثالثة: الأعمال التي تؤدي إلى زيادة الرزق أو نقيصته:

١ - الدعاء:

من الأمور الواضحة والمسلمة في الشريعة المقدسة الدعاء لأجل الرزق، قال تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢)، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: «من لم يسأل الله من فضله افتقر»^(١).

وهذا المعنى ورد في كلمات الأولياء والصالحين كثيراً، فعبارة «اللهم ارزقني» لا يكاد يخلو منها دعاء من الأدعية، على اختلاف متعلقها، فقد يكون مالاً، أو توفيقاً، أو صحة، أو أماناً، أو نحو ذلك، ومن ذلك الدعاء المروي عن الإمام المهدي عليه السلام: «اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية وصدق النية وعرفان الحرمة...»^(٢)، ومنه دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام إذا قتر عليه الرزق وهو الدعاء التاسع والعشرون من الصفيحة السجادية^(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من أصحاب البادية، فقال: يا رسول الله، إن لي بنين وبنات، وإخوة وأخوات، وبنين وبنين وبنين وبنات وبنين وإخوة وبنين أخوات، والمعيشة علينا خفيفة، فإن رأيت يا رسول الله أن تدعو الله أن

(١) مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٣، ص ٣٩.

(٢) المصباح: الكفعمي، ص ٢٨٠.

(٣) الصفيحة السجادية: ص ٩٩.

متميزاً، أو خياطاً ماهراً، وغير ذلك، ومنها المواهب الأخرى المتعددة، كموهبة الشعر والأدب والرياضة والفن، إلى غير ذلك.

وبالجملته فما لا شك فيه ولا ريب، أن من أحد أسباب التفاوت في الرزق هو تلك المواهب والإمكانات التي تكون لبعض الأفراد دون غيرهم.

وقد يُعترض على الله تعالى بأنه لماذا يكون هنالك اختلاف في الاستعدادات والقابليات؟ فلو خلق الله تعالى الناس على مستوى واحد من حيث الصفات والكمالات والقدرة والعزيمة، لتساوى الناس في الرزق، ولما حصلت الطبقة في المجتمع بين الأغنياء والفقراء.

والجواب عنه واضح جداً، فإنه لو تساوى الناس جميعاً من جميع النواحي وكانوا كلهم على شكل واحد، وفكر واحد، وذوق واحد، وقوه واحدة، وتحمل واحد، فإن الجميع سيتحرك في جهة واحدة، الكل يريد شيئاً واحداً، ويحبون غذاءً واحداً، ولا يرغبون إلا بعمل واحد! وهذا يعني تعطيل الحياة وانقراضها؛ لبقاء أغلب الميادين الضرورية خالية من الفعالية والحياة؛ فالحياة بنيت على التفاوت الذي ينتج لنا فلاحاً، ومهندساً، وطبيباً، وعاملاً... إلخ.

وإذا لم نقل بتعطيل الحياة فلا أقل من أنها ستكون حياة رتيبة متشابهة وفاقدة لكل روح؛ فالاختلاف سنة من السنن الكونية التي تضمن بقاء النوع وديمومته وحياته.

ويضعف عن القيام فيما يصلحه ويصلح ما قبله، بل تفرد بلم شعته وتول كفايته، وانظر إليه في جميع أموره، فإنك إن وكلته إلى خلقك لم ينفعوه، وإن أجاته إلى أقربائه حرموه، وإن أعطوه أعطوا قليلاً نكدًا، وإن منعوه منعوا كثيراً، وإن بخلوا فهم للبخل أهل، اللهم اغن فلان بن فلان من فضلك، ولا تخله منه، فإنه مضطر إليك، فقير إلى ما في يديك، وأنت غني عنه، وأنت به خير عليم ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]»^(١).

٢ - حُسن الخلق:

هنالك ارتباط وثيق بين الأخلاق الحسنة وكثرة الرزق وزيادته، وبين سوء الخلق وضيق الرزق ونقصانه، والأخلاق الحسنة عبارة عن مجموعة الكمالات التي ينبغي أن يتحلل بها الفرد المؤمن، والكلام فيها كلام موسع جداً لابد أن نرجع فيه إلى الكتب المؤلفة في هذا الجانب، وأمّا العلاقة بين الأخلاق الحسنة

يوسع علينا، قال: وبكى، فرق له المسلمون، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، من كفل بهذه الأفواه المضمونة على الله رزقها، صب الله عليه الرزق صباً كالماء المنهمر، إن قليلاً فقليلاً، وإن كثيراً فكثيراً، قال: دعا رسول الله ﷺ وأمن له المسلمون، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام فحدثني من رأى الرجل في زمن عمر، فسأله عن حاله، فقال: من أحسن من حوله حالاً وأكثرهم مالاً^(١).

وقد ذكر السيد علي بن طاووس في مهج الدعوات: عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «من تعذر عليه رزقه، وتغلقت عليه مذاهب المطالب في معاشه، ثم كتب له هذا الكلام في رق ظبي، أو قطعة من أدم، وعلقه عليه، أو جعله في بعض ثيابه التي يلبسها فلم يفارقه، وسع الله رزقه، وفتح عليه أبواب المطالب في معاشه، من حيث لا يحتسب: اللهم لا طاقة لفلان بن فلان بالجهد، ولا صبر له على البلاء، ولا قوة له على الفقر والفاقة، اللهم فصل على محمد وآل محمد، ولا تحظر على فلان بن فلان رزقك، ولا تقتر عليه سعة ما عندك، ولا تحرمه فضلك ولا تحرمه من جزيل قسمك، ولا تكله إلى خلقك، ولا إلى نفسه فيعجز عنها،

(١) مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٩، ص ٤١.

(١) مستدرک الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٣، ص ٣٩.

٤ - الجلوس بين الطلوعين:

عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الجلوس الرجل في دبر صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من ركوب البحر»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الجلوس بعد صلاة الغداة في التعقيب والدعاء حتى تطلع الشمس، أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض»^(٢).

وقال عليه السلام: «نومة الغداة مشومة، تطرد الرزق، وتصفر اللون وتقبحه وتغيره، وهو نوم كل مشوم، إن الله تعالى يقسم الأرزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وإياكم وتلك النومة، وكان المن والسلوى ينزل على بني إسرائيل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه، وكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب»^(٣)، وقال الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿قَالُمُقَسَّمَاتٍ أُمْرًا﴾ (الذاريات: ٤): «الملائكة تقسم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه»^(٤).

وزيادة الرزق فقد أشارت إليها كثير من الروايات، منها: ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق»^(١)، وقال عليه السلام: «من ساء خلقه ضاق رزقه»^(٢)، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «حسن الخلق يزيد في الرزق»^(٣).

٣ - التقوى:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)، عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «من أتاه الله برزق لم يخط إليه برجله ولم يمد إليه يده ولم يتكلم فيه بلسانه ولم يشد إليه ثيابه ولم يتعرض له كان ممن ذكره الله تعالى في كتابه»^(١)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما نصح الله عبد مسلم في نفسه، فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها، إلا أعطي خصلتين: رزقاً من الله تعالى يقنع به ورضى عن الله ينجي»^(٥).

(١) الكافي: ج ٨، ص ٢٣.

(٢) ميزان الحكمة: ج ١، ص ٨٠٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٤٤٥.

(٤) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ١٧، ص ٦٩.

(٥) الخصال: الشيخ الصدوق، ص ٤٦.

(١) الكافي: ج ٥، ص ٣١٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٣٨.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٣٩.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٣٩.

تلك الفائدة، ويمكن حملها على يوم الجمعة بملاحظة الروايات الأخرى.

٧ - الاستغفار:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٢)، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)، وعن الإمام علي عليه السلام: «الاستغفار يزيد في الرزق»^(١)، وعنه عليه السلام: «استغفر رزق»^(٢)، وعنه عليه السلام: «وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق، فقال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾»^(٣).

٨ - الصدقة:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: تصدقوا فإن الصدقة تزيد في المال كثرة، تصدقوا رحمكم الله»^(٤)، وقال أبو عبد

٥ - التعقيب بعد الصلاة:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب في البلاد»، يعني بالتعقيب الدعاء بعقب الصلاة^(١).

٦ - أعمال يوم الجمعة:

وردت أعمال خاصة ليوم الجمعة المبارك، كالغسل، وقص الأظافر، وقص الشارب، ونحو ذلك. وهذه الأعمال لها آثار كبيرة على مستوى الثواب والرزق الدنيوي، قال رجل لعبد الله بن الحسن: علمني شيئاً في الرزق، فقال: أأزم مصلاك إذا صليت الفجر إلى طلوع الشمس، فإنه أنجع في طلب الرزق من الضرب في الأرض، فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: «ألا أعلمك في الرزق ما هو أنفع من ذلك»؟ قال: قلت: بلى، قال عليه السلام: «خذ من شاربك وأظفارك كل جمعة»^(٢)، وقال أبو عبد الله عليه السلام: «تقليم الأظفار وقص الشارب وغسل الرأس بالخطمي كل جمعة ينفي الفقر»^(٣)، وفي رواية عن رسول الله ﷺ: «تقليم الأظفار يمنع الداء الأعظم ويدر الرزق»^(٤)، ويظهر منها أن قص الأظافر مطلقاً - أي سواء كان في يوم الجمعة أو في غيره من الأيام - له

(١) تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٠٤.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٤٩١.

(٣) الكافي: ج ٦، ص ٤٩١.

(٤) الكافي: ج ٦، ص ٤٩٠.

(١) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٢٧٧.

(٢) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٢٧٧.

(٣) ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٢٧٧.

(٤) الوافي: ج ١٠، ص ٣٩٧.

إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿النور: ٣٢﴾، وبعض الأخبار أنه (الزواج) موجب لسعة الرزق، ففي خبر عن إسحاق بن عمار، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث الذي يرويه الناس حق، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة، فأمره بالتزويج حتى أمره ثلاث مرات، قال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم، هو حق» ثم قال عليه السلام: «الرزق مع النساء والعيال»^(١)، وقد يكون الأمر بالعكس، كما أشار إليه الحديث، عن عاصم بن حميد قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه رجل، فشكى إليه الحاجة، فأمره بالتزويج، قال: فاشتدت به الحاجة فأتى أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن حاله فقال له: اشتدت بي الحاجة فقال: ففارق، ثم أتاه فسأله عن حاله؟ فقال: أثريت وحسن حالي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إني أمرتك بأمرين أمر الله بهما، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، وقال: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

١٠ - قراءة بعض السور والآيات:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم فيه أسرار عجيبة غريبة، لم نطلع على كثير منها، إلا أنه هنالك روايات كثيرة بينت آثاره في

(١) المباني في شرح العروة الوثقى: موسوعة السيد الخوئي، ج ١٥، ص ٣٠١.

الله عليه السلام لمحمد ابنه: «يا بني، كم فضل معك من تلك النفقة؟» قال: أربعون ديناراً، قال: «اخرج فتصدق بها»، قال: إنه لم يبق معي غيرها، قال: «فتصدق بها فإن الله تعالى يخلفها، أما علمت أن لكل شيء مفتاحاً، ومفتاح الرزق الصدقة، فتصدق بها»، ففعل، فما لبث أبو عبد الله عليه السلام إلا عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار، فقال: «يا بني أعطينا الله أربعين ديناراً فأعطانا أربعة آلاف دينار»^(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «استنزلوا الرزق بالصدقة»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أحسن عبد الصدقة في الدنيا إلا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده»، وقال عليه السلام: «حسن الصدقة يقضي الدين ويخلف على البركة»^(٣)، وقال الإمام علي عليه السلام: «فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشَّرِكِ... وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ»^(٤).

٩ - الزواج:

قال السيد اليزدي في العروة الوثقى: والمستفاد من الآية ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

(١) الوافي: ج ١٠، ص ٣٩٧.

(٢) الوافي: ج ١٠، ص ٣٩٧.

(٣) الوافي: ج ١٠، ص ٣٩٧.

(٤) نهج البلاغة: تحقيق صالح، ص ٥١٢.

تسأل، فيسأل فيعطى، ويشفع فيشفع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولا يذل مع من يذل، ولا يبكت بخطيئة، ولا بشيء من سوء عمله، ويعطى كتابه منشوراً، فيقول الناس بأجمعهم: سبحان الله لما كان لهذا العبد خطيئة واحدة! ويكون من رفقاء محمد ﷺ»^(١).

إذن هي تشمل كل أنواع الرزق، الدنيوي والأخروي، المادي والمعنوي، وهنالك موارد أخرى تطلب من محلها.

١١ - الذنوب تمنع الرزق:

الذنوب لها كثير من الآثار السيئة على الإنسان المؤمن، فقد يكون سبباً للبلاء والمصائب، ومن آثار الذنوب الحرمان من الرزق، وهذا المعنى ورد واضحاً في روايات أهل البيت ﷺ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنَبُ الذَّنْبَ فَيُزَوِّي عَنْهُ الرَّزْقُ»^(٢)، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «إِنَّ الذَّنْبَ يَحْرِمُ الْعَبْدَ الرَّزْقَ»^(٣)، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُذْنَبُ الذَّنْبَ فَيَدْرَأُ عَنْهُ الرِّزْقَ»، وتلا هذه الآية: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَتْنُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (القلم: ١٧-١٩)^(٤). قال الفيض الكاشاني في

(١) تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٢٥٥، ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ١١٠.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٧٠.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٧١.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت): ج ١٥، ص ٣٠١.

الرزق ونحوه، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ سورة والذاريات في يومه أو في ليلته أصلح الله له معيشته، وأتى برزق واسع، ونور له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة»^(١)، وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، فمن قرأ يس في نهاره، قبل أن يمسي، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله، قبل أن ينام، وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم، ومن كل آفة، وإن مات في نومه أدخله الله الجنة، وحضر غسله ثلاثون ألف ملك، كلهم يستغفرون له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، فإذا أدخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله، وثواب عبادتهم له، وفسح له في قبره مدّ بصره، وأمن من ضغطة القبر، ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرج الله من قبره، فإذا أخرجه، لم تنزل ملائكة الله معه يشيعونه، ويحدثونه، ويضحكون في وجهه، ويشيرونه بكل خير، حتى يجوزوا به الصراط والميزان، ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقربون، وأنبياءه المرسلون، وهو مع النبيين واقف بين يدي الله، لا يجزن مع من يجزن، ولا يهتم مع من يهتم، ولا يجزع مع من يجزع، ثم يقول له الرب تعالى: أشفع عبدي أشفعك في جميع ما تشفع، وسلني عبدي أعطك جميع ما

(١) ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، ص ١١٥.

الوافي في بيان الحديث: الآية نزلت في قوم كانت لأبيهم جنة، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، فحلفوا أن يقطعوها، وقد بقي من الليل ظلمة، داخلين في الصبح، منكرين ولم يستثنوا في يمينهم، أي: لم يقولوا: إن شاء الله، فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف، أي: محيط بها، وهذا كقوله سبحانه: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]، قيل احترقت جنتهم فاسودت، وقيل يبست وذهبت خضرتها ولم يبق منها شيء^(١).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنه ما من سنة أقل مطراً من سنة، ولكن الله يضعه حيث يشاء، إن الله تعالى إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم، وإلى الفيافي والبحار والجبال، وإن الله ليعذب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلها بخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل في مسلك سوى محلة أهل المعاصي»، قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «فاعتبروا يا أولي الأبصار»^(٢).

والحمد لله رب العالمين

(١) الوافي: الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٠٠١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٧٢.

- ١٠٠..... نظرية الرزق في الإسلام
- ٦ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - الطبعة الأولى - سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م - الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٧ - التفسير الكاشف - محمد جواد مغنية - الطبعة الثالثة - سنة الطبع: آذار (مارس) ١٩٨١ - الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- ٨ - التفسير المبين - محمد جواد مغنية - الطبعة الثانية منقحة ومزودة - سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م - الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.
- ٩ - تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٠ - تفسير الرازي - فخر الدين الرازي - الطبعة الثالثة.
- ١١ - في ظلال نهج البلاغة - محمد جواد مغنية - الطبعة الأولى - سنة الطبع: ١٤٢٧ - المطبعة: مطبعة ستار - الناشر: انتشارات كلمة الحق.
- ١٢ - تصنيف نهج البلاغة - لبيب بيضون - الطبعة الثانية - سنة الطبع: محرم ١٤٠٨ - المطبعة: مطابع مكتب الإعلام الإسلامي - الناشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي.
- ١٣ - التفسير الصافي - الفيض الكاشاني - الطبعة الثانية - سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش - المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة - الناشر: مكتبة الصدر - طهران.

المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - وسائل الشريعة - الحر العاملي - تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية - سنة الطبع: ١٤١٤ - المطبعة: مهر - قم - الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.
- ٣ - الكافي - الشيخ الكليني - الطبعة الخامسة - سنة الطبع: ١٣٦٣ ش - المطبعة: حيدري - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ٤ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - الطبعة الثانية المصححة - سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م - الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- ٥ - شرح نهج البلاغة - ابن ميثم البحراني - الطبعة الأولى - سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش - المطبعة: چاپخانه دفتر تبلیغات إسلامي - الناشر: مركز النشر - مكتب الإعلام الإسلامي - الحوزة العلمية - قم - إيران.

المصادر ١٠١

١٤ - تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - الطبعة الأولى -
سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م - الناشر: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات - بيروت - لبنان.

١٥ - روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه - محمد تقى
المجلسي - (الأول) - الناشر: بنياد فرهنگ إسلامي حاج محمد حسين
كوشانپور.

١٦ - لسان العرب - ابن منظور - نشر أدب الحوزة - قم -
إيران ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق.

١٧ - المصباح - الكفعمي - الطبعة الثالثة - سنة الطبع: ١٤٠٣
- ١٩٨٣ م - الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

١٨ - حياة الحيوان الكبرى - كمال الدين دميري - الطبعة
الثانية - سنة الطبع: ١٤٢٤ - الناشر: دار الكتب العلمية.

١٩ - جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي - الطبعة
العلمية - قم - سنة الطبع: ١٣٩٩.

٢٠ - الأمالي - الشيخ الصدوق - الطبعة الأولى - سنة الطبع:
١٤١٧ - الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

٢١ - الوافي - الفيض الكاشاني - الطبعة الأولى - سنة الطبع:
أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ. ق ١٩ / ٣ / ٦٥ هـ. ش - الطبعة: طباعة
أفست نشاط أصفهان - الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام
العامة - أصفهان.

١٠٢ نظرية الرزق في الإسلام

٢٢ - نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - الطبعة الأولى -
سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش - المطبعة: النهضة - قم - الناشر:
دار الذخائر - قم - إيران.

٢٣ - الاحتجاج - الطبرسي - الناشر: دار النعمان للطباعة
والنشر - النجف الأشرف.

٢٤ - مجلة تراثنا: مؤسسة آل البيت عليهم السلام - سنة الطبع: ١٤١٤ -
المطبعة: مهر - قم الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث -
قم المشرفة، ملاحظات: العدد الأول - السنة التاسعة محرم ١٤١٤.

٢٥ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة - الطبعة الرابعة -
المطبعة: مطبعة الإسلامية بطهران - الناشر: بنياد فرهنگ إمام
المهدي عليه السلام.

٢٦ - القاموس المحيط - الفيروز آباد.

٢٧ - تاج العروس - الزبيدي - المطبعة: دار الفكر - بيروت -
الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٢٨ - تفسير الصراط المستقيم - السيد حسين البروجردي -
المطبعة: الصدر - قم - سنة الطبع: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م - الناشر:
مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

٢٩ - الاقتصاد - الشيخ الطوسي - سنة الطبع: ١٤٠٠ -
المطبعة: مطبعة الخيام - قم - الناشر: منشورات مكتبة جامع
چهلستون - طهران.

١٠٤ نظرية الرزق في الإسلام

٣٨ - المباني في شرح العروة الوثقى - موسوعة السيد الخوئي -
المطبعة: نينوى - الطبعة الرابعة - سنة الطبع: ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م -
الناشر: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي عليه السلام.

٣٩ - ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق - الطبعة الثانية - سنة
الطبع: ١٣٦٨ ش، المطبعة: أمير - قم - الناشر: منشورات الشريف
الرضي - قم.

٤٠ - ما وراء الفقه - السيد محمد الصدر - الطبعة الثالثة، سنة
الطبع: ١٤٢٧ - ٢٠٠٧ م المطبعة: قلم - الناشر: المحبين للطباعة
والنشر.

٤١ - الخصال - الشيخ الصدوق - تحقيق: تصحيح وتعليق: علي
أكبر الغفاري - سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢
ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة.

المصادر ١٠٣

٣٠ - تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - الطبعة الثالثة - سنة
الطبع: ١٣٦٤ ش - المطبعة: خورشيد - الناشر: دار الكتب
الإسلامية - طهران.

٣١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد بن
محمد المقرئ الفيومي - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٢ - قرب الاسناد - الحميري القمي - الطبعة الأولى - سنة
الطبع: ١٤١٣ - المطبعة: مهر - قم - الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام
لإحياء التراث - قم.

٣٣ - من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - الطبعة الثانية -
الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٤ - ميزان الحكمة - الطبعة الأولى - المطبعة: دار الحديث -
الناشر: دار الحديث.

٣٥ - التبيان في تفسير القرآن - الشيخ الطوسي - الطبعة الأولى -
سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩ - المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام
الإسلامي - الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٦ - مستدرک الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي -
الطبعة الأولى المحققة - سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٧ م - الناشر:
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان.

٣٧ - الصحيفة السجادية - الطبعة الأولى - سنة الطبع:
١٤١٨ - الناشر: دفتر نشر الهادي.

١٠٦ نظرية الرزق في الإسلام
٢٤ النقطة الثانية: الرزق هو الله تعالى:
٢٥ الرزق حق على الله تعالى:
٢٨ حق من غير استحقاق:
٢٩ رزق بغير حساب:
٣١ رزق بغير احتساب:
٣٥ الفصل الثاني
٣٥ النقطة الأولى: نسبة الرزق إلى غير الله تعالى:
٣٨ النقطة الثانية: الرزق الحرام:
٤٠ بيان شبهة الأشاعرة:
٤٢ جواب الشبهة:
٤٢ الوقفة الأولى: الإجابة عن كل استدلال بخصوصه:
٤٦ الوقفة الثانية: ما يدل على بطلان أصل الدعوى:
٥١ الفصل الثالث
٥١ النقطة الأولى: تقدير الأرزاق:
٥٢ بيان شبهة:
٥٣ وجوابها:
٥٣ النقطة الثانية: الحث على طلب الرزق:
٦١ إرادة الخالق فوق إرادة المخلوق:
٦٢ النقطة الثالثة: كيف يتحقق طلب الرزق؟

الفهرست

٣ مقدمة المعهد
٦ الإهداء
٧ مقدمة المؤلف
١١ تمهيد
١١ مفهوم نظرية الرزق وشروطها ومقوماتها:
١٣ شروط نظرية الرزق ومقوماتها:
١٧ الفصل الأول
١٧ النقطة الأولى: مفهوم الرزق:
١٨ ١ - الرزق الدنيوي المادي:
١٨ ٢ - الرزق الدنيوي المعنوي:
١٩ الرزق الآخروي:
١٩ ١ - الرزق الآخروي المادي:
٢٢ ٢ - الرزق الآخروي المعنوي:
٢٣ طرق إيصال الرزق:

الفهرست	١٠٧
النقطة الرابعة: الإجمال في طلب الرزق:	٦٦
الفصل الرابع	٧١
النقطة الأولى: سعة الأرزاق وضيقها:	٧١
بيان شبهة:	٧٢
جوب الشبهة:	٧٢
النقطة الثانية: أسباب تفاوت الأرزاق:	٧٣
أ) الحكمة الإلهية:	٧٣
ب) مراعاة مصلحة العبد:	٧٤
ج) الابتلاء والاختبار:	٧٥
د) الاستدراج:	٧٧
هـ) تكفير العقاب وتعجيل الثواب:	٧٨
و) اختلاف الاستعدادات والقابليات:	٨٢
النقطة الثالثة: الأعمال التي تؤدي إلى زيادة الرزق أو نقيصته:	٨٦
١ - الدعاء:	٨٦
٢ - حُسن الخلق:	٨٨
٣ - التقوى:	٨٩
٤ - الجلوس بين الطلوعين:	٩٠
٥ - التعقيب بعد الصلاة:	٩١
٦ - أعمال يوم الجمعة:	٩١

نظرية الرزق في الإسلام	١٠٨
٧ - الاستغفار:	٩٢
٨ - الصدقة:	٩٢
٩ - الزواج:	٩٣
١٠ - قراءة بعض السور والآيات:	٩٤
١١ - الذنوب تمنع الرزق:	٩٦
المصادر	٩٩
الفهرست	١٠٥